

المقدمة:

لقد ركزت معظم الدراسات في علم الترجمة على نتائج الترجمة وتاريخها ومشاكلها والصعوبات التي تواجه المترجم ... إلا أنها استثنت العمليات الذهنية التي ترافقها، ولذلك كان من الضروري تناول هذه الجوانب في بحوث ودراسات الترجمة. وتعرض هذه الدراسة الترجمة كعملية ذهنية أكثر منها مادية حيث أن الحركة الذهنية في عملية الترجمة هو شيء لا يمكن الاستغناء عنه لأنه يقدم للمتدربين من المترجمين جملة من المعلومات الضرورية لتقديم ترجمة يعتمد عليها . ولاشك أنه من المفيد جداً الإمام بجميع هذه المعلومات و العمليات وتوظيفها في ترجمة النصوص التقنية والعلمية . على الرغم من أن الاختلافات بين الأنساق المفهومية مسألة مألوفة إلى حد ما في اللغات، فإنها، مع ذلك، تشكل تحدياً للمترجم. فضلاً عن أن تباينات رؤى العالم تشكل، بسبب اختلافها الذي يصل إلى درجة الحيرة والجدال، تحدياً إضافياً، لكن، ما يعوق عملية الترجمة أكثر، هو أن إدراك المترجم لمحيطه، غالباً ما تغيره المقولات المفاهيمية التي تنتجها كل من اللغة -المصدر واللغة- الهدف. بيد أن محاولة التوفيق بين الاختلافات المتعلقة بأولوية مشاكل دون أخرى في الترجمة، تبدو مهمة صعبة بالنظر لوجود فوارق في الفلسفات الأساسية، وفوارق أخرى في الإجراءات المنهجية. وبغية إبراز الخطوات التي نرمي من خلالها، في هذا العرض، إلى توضيح بعض المعضلات الرئيسية المرتبطة بعملية الترجمة ينبغي تحديد مفهومنا لـ"الترجمة" بصفة عامة.

وكما تزعم مؤلفات عديدة (براور، 1959) فإن الترجمة مبحث تواصل ييسعى إلى تحقيق نفس المفعول الموجود في اللغة -المصدر على المتلقي في اللغة- الهدف. وتعد كفاءات المترجم ومهاراته التقنية والمعرفية عوامل ذهنية أساسية قد تيسر، أو تزيد في تعقيد، "خفيات الترجمة". وتستمد مسألة المهارة المعرفية للمترجم أهميتها من كون الجزء الأعظم من اللغة التي نتواصل بها يركز على ما هو ذاتي (بوركو، 1967). ولهذا السبب، وقبل تحليل أي لغة مكتوبة، ينبغي تحليل الخصائص الدلالية الضمنية. ومن ثم، فإن استعمال المترجم لمعجم ما، أو لما يمثله في اللغة-المصدر، يكون في غالب الأحيان قائماً على تقدير نسبي وحسبي للتحليل المعرفي للعلاقة الموجودة بين مفهومين، أحدهما مشتق من اللغة-المصدر، والثاني من اللغة-الهدف _ديك، 1968). إن فهم الخصائص الدلالية للكلمات، يجعل هذا النوع من النشاط الذهني حيويًا ومتطوراً في الآن نفسه، وعندما يقوم المترجم، في النهاية، بإنتاج ترجمته (في اللغة-الهدف)، فإنه يكون قد أنتج شكلاً معادلاً لواقع اللغة-المصدر لا شكلاً مطابقاً لهذا الواقع (دييس، 1962). ولهذا السبب فإن هذه الدراسة ترفض الفرضية القائلة إن الترجمة عملية علمية مطلقة (نايدا، 1964).

إن ما يجعل من الترجمة مسألة شائكة، هو كون الدلالات الإيحائية للمعجم غالباً ما تتغير تبعاً للعوامل المؤثرة التي تتكيف معها (فانت، 1968). ولم يستطع، لحد الآن، أي علم أن يقوم بحد أو بالأحرى، بتحديد حمولة هذا التغير. ومن الناحية الافتراضية، تدل المناهج الإجرائية، في عملية الترجمة، على أنه بإمكان المترجم القيام بتقسيم الصعوبات اللغوية للغة-المصدر إلى عناصر ممثلة بطريقة ذهنية (فلاناجن، 1965). ثم إن تيار الوعي، المشتق من المكونات اللسانية، يتم تجزيته إلى وحدات فكرية. وهذه الأخيرة تتم ترجمتها إلى اللغة-الهدف بصورة قابلة للتطبيق في الإطار اللساني للغة الأصلية للمتلقي (براور، 1959). وهذا الإجراء

الافتراضي يؤكد الاعتقاد الذي مفاده أن المترجمين هم بمثابة بنيويين في مقاربتهم. وسيتم الحديث بشكل مفصل عن الفرق بين "البنية والبناء" في الوقت المناسب. ويمكن الاستدلال، تبعا لتحليل فودور، على أنه باستطاعة المترجمين إقامة علائق بين القيم الدلالية الموجودة في اللغة-الهدف، ومن أجل ذلك، يستعمل المترجم العمليات المنطقية المبنية على معرفة موثوق بها للقدرة الدلالية وللإنجاز، سواء في اللغة-المصدر أو في اللغة-الهدف (ويلز، 1982). ومثل هذه العمليات المنطقية تتطلب من المترجم مقومات ذهنية داخلية تجعله كذلك قادرا على التوفيق بين الاختلافات سواء اللغوية منها أو الدلالية في اللغتين معا (فودور، 1967). وقد تنبثق عن هذا نتيجة ترجمة، بعدما يكون قد تم تحويل خصائص لغة معينة إلى سمات دلالية، وبالتالي تؤول تلقائيا من طرف متلقي اللغة-الهدف (إرفيت، 1967).

المقومات الذهنية التامة في عملية الترجمة(*)

على الرغم من أن الاختلافات بين الأنساق المفاهيمية مسألة مألوفة إلى حد ما في اللغات، فإنها، مع ذلك، تشكل تحديا للمترجم. فضلا عن أن تباينات رؤى العالم تشكل، بسبب اختلافها الذي يصل إلى درجة الحيرة والجدال، تحديا إضافيا، لكن، ما يعوق عملية الترجمة أكثر، هو أن إدراك المترجم لمحيطه، غالبا ما يغيره المقولات المفاهيمية التي تنتجها كل من اللغة-المصدر واللغة-الهدف. بيد أن محاولة التوفيق بين الاختلافات المتعلقة بأولوية مشاكل دون أخرى في الترجمة، تبدو مهمة صعبة بالنظر لوجود فوارق في الفلسفات الأساسية، وفوارق أخرى في الإجراءات المنهجية. وبغية إبراز الخطوات التي نرمي من خلالها، في هذا العرض، إلى توضيح بعض المعضلات الرئيسية المرتبطة بعملية الترجمة ينبغي تحديد مفهومنا لـ "الترجمة" بصفة عامة.

ليست الترجمة وهما، كما تزعم مؤلفات عديدة (براور، 1959) بقدر ما هي أولا وقبل كل شيء مبحث تواصل يسهل إلى تحقيق نفس المفعول الموجود في اللغة-المصدر على المتلقي في اللغة-الهدف. وتعد كفاءات المترجم ومهاراته التقنية والمعرفية عوامل ذهنية أساسية قد تيسر، أو تزيد في تعقيد، "خفيات الترجمة". وتستمد مسألة المهارة المعرفية للمترجم أهميتها من كون الجزء الأعظم من اللغة التي نتواصل بها يركز على ما هو ذاتي (بوركو، 1967). ولهذا السبب، وقبل تحليل أي لغة مكتوبة، ينبغي تحليل الخصائص الدلالية الضمنية. ومن ثم، فإن استعمال المترجم لمعجم ما، أو لما يماثله في اللغة-المصدر، يكون في غالب الأحيان قائما على تقدير نسبي وحدسي للتحليل المعرفي للعلاقة الموجودة بين مفهومين، أحدهما مشتق من اللغة-المصدر، والثاني من اللغة-الهدف (ديك، 1968). إن فهم الخصائص الدلالية للكلمات، يجعل هذا النوع من النشاط الذهني حيويا ومتطورا في الآن نفسه، وعندما يقوم المترجم، في النهاية، بإنتاج ترجمته (في اللغة-الهدف)، فإنه يكون قد أنتج شكلا معادلا لواقع اللغة-المصدر لا شكلا مطابقا لهذا الواقع (دييس، 1962). ولهذا السبب فإن هذه الدراسة ترفض الفرضية القائلة إن الترجمة عملية علمية مطلقة (نايدا، 1964).

إن ما يجعل من الترجمة مسألة شائكة، هو كون الدلالات الإيحائية للمعجم غالبا ما تتغير تبعا للعوامل المؤثرة التي تتكيف معها (فانت، 1968). ولم يستطع، لحد الآن، أي علم أن يقوم بحد أو بالأحرى، بتحديد حمولة هذا التغير. ومن الناحية الافتراضية، تدل المناهج الإجرائية، في عملية الترجمة، على أنه بإمكان المترجم القيام بتقسيم الصعوبات اللغوية للغة-المصدر إلى عناصر ممثلة بطريقة ذهنية (فلانجن، 1965). ثم إن تيار الوعي، المشتق من المكونات اللسانية، يتم تجزيته إلى وحدات فكرية. وهذه الأخيرة تتم ترجمتها إلى اللغة-الهدف بصورة قابلة للتطبيق في الإطار اللساني للغة الأصلية للمتلقي (براور، 1959). وهذا الإجراء الافتراضي يؤكد الاعتقاد الذي مفاده أن المترجمين هم بمثابة بنيويين في مقاربتهم. وسيتم الحديث بشكل مفصل عن الفرق بين "البنية والبناء" في الوقت المناسب. ويمكن الاستدلال، تبعا لتحليل فودور، على أنه باستطاعة المترجمين إقامة علائق بين القيم الدلالية الموجودة في اللغة-الهدف، ومن أجل ذلك، يستعمل المترجم العمليات المنطقية المبنية على معرفة موثوق بها للقدرة الدلالية وللإنجاز، سواء في اللغة-المصدر أو في اللغة-الهدف (ويلز، 1982). ومثل هذه العمليات المنطقية تتطلب من المترجم مقومات ذهنية داخلية تجعله كذلك قادرا على التوفيق بين الاختلافات سواء اللغوية منها أو الدلالية في اللغتين معا (فودور، 1967). وقد تنبثق عن هذا نتيجة ترجمته، بعدما يكون قد تم تحويل خصائص لغة معينة إلى سمات دلالية، وبالتالي تؤول تلقائيا من طرف متلقي اللغة-الهدف (إرفيت، 1967).

وتكون فلسفة الاحتمالات حاضرة بقوة في العملية الذهنية المتصلة بالترجمة، وذلك لأن المترجم يجد، بالكاد، العناصر المتطابقة في اللغة-المصدر (ومسلي، 1970). وهكذا يكون مجبرا، باستمرار، على انتقاء واحد من بين عدة تأويلات ومعادلات ممكنة. ويمكن كذلك الاستدلال على أن عملية الترجمة لا تتحقق إلا بواسطة الفكر (بار-هيلل، 1954).

وهذه الوساطة الذهنية، تجعل المترجم قادرا على عرض الأفكار المتضمنة في اللغة-المصدر لا المعنى اللغوي المطابق لهذه اللغة بيرويش، 1969). غير أن ما نحن بصدد، لا يرتبط، البتة، بمسألة هل الترجمة ممكنة أم لا؟ يقدر ما يتصل بنوع الصعوبات التي يصادفها المترجم على مستوى الوساطة الذهنية؟ فكيف يعبر المترجمون المحترفون، في اللغة-الهدف، عن فكرة في اللغة-المصدر بصيغة أخرى؟ ويستدل (جونسن وليرد، 1970) على أن لا أحد يعلم علم اليقين الكيفية التي يتم بها تمثيل المعنى في الذاكرة، لكننا نعلم على أن العناصر التي يتشكل منها المعنى، هي ذات طبيعة لغوية. ويتم توظيف هذه العناصر في الصيرورة المعرفية التي سبقت الإشارة إليها. ومن تم، يمكن القول إننا في الممارسة الترجمية لا نحتاج إلى معرفة الكيفية التي يتم بها تمثيل المعنى، بل نحتاج، بكل تأكيد، إلى معرفة الكيفية التي يتشكل بها المعنى خارج العوامل اللغوية.

وتعتبر طبيعة النشاط للمترجم، من الناحية الأتالية **Etymogically**، شبيهة إلى حد كبير بمشكال **Kaleidoscopie** للأنشطة الذهنية. وإن الأمر كذلك، في حدود أن لفظة "مترجم" لا تستطيع أن تمثل، كلية، جميع القدرات المنطقية والفكرية التي يعتمد عليها هذا الشخص في صيرورة إنتاج لغة-هدف. وبناء على ذلك، يمكن أن نقترح استبدال لفظة "مترجم": "المدرّك"، "المولد"، "الباني"، "المركب"، "واضع المفاهيم" أو ربما "المستوعب". ويبقى، مع ذلك، أن هوية المترجم بكاملها أكبر من مجموع أجزائها كاملة. وكون "الترجمة" عملية ذهنية، فهذا رأي لا يمكن دحضه، وهذه العملية تختلف عن أي فعل تأويلي آخر. أن "تترجم"، معناه أن تعبر في لغة أخرى عن مصطلحات أو رموز لغة معينة. ومع ذلك، فلفظة "الترجمة" غير مقتصرة على فعل الإنتاج في اللغة-الهدف. فعندما نطلب من شخص ما أن "يترجم حماسه إلى أفعال ملموسة"، فإننا نكون قد طلبنا منه أن يترجم وسيلة أو وضعا ما إلى آخر. وبالمقابل، فـ "الترجمة"، في المجال الكنسي، تعني تحويل رفات قديس من مكان لآخر، أي نقل شخص إلى السماء دون تعريضه للموت. وبالمثل، عندما نترجم، فإننا ننقل المعنى من اللغة-المصدر دون أن نخضعه لأي شكل من أشكال التشويه، ففي عملية الترجمة، لا نعبر في اللغة-الهدف بكيفية إيحائية (بيفيرتش، 1961). ومن جهة أخرى، فالتأويل فعل تأويلي للمعنى المسند للقول أو للفعل. ومن تم فهو فعل يتصل بالتدلال أكثر مما يرتبط بالترجمة. وبهذا المعنى، فالتأويل يسعى إلى التعبير عن المأساة المتمثلة في محاولة إبراز فكرة المعنى، بينما يتم إبعاد الانطباع الذاتي للمترجم بصفة أساسية.

فالمحاولات التأويلية ينبغي تجنبها لكون عمل المترجم يقوم على نقل المعنى المقصود دون اجتهاد فكري كبير. فقراءته الشخصية قد تؤثر على ترجمته (واط، 1970). وللكشف عن بعض الخصائص الفكرية للمترجم، نحتاج كذلك إلى التمييز بين "كفاءاته ومهارته" أثناء إنجاز عمله. والمقصود بالكفاءة، تلك الخصائص اللغوية المتصلة بتجربته، والتي يوظفها في عملية الترجمة، والقابلة مع ذلك للتطوير. أما لفظة "مهارة"، فإنها توظف للإحالة على استعداد المترجم أو قدرته على الإنجاز. فالمهارة تحيل على أهليته وتمكنه ومواهبه الفكرية وحنكته كالذكاء والفطنة. ولكي يستفيد المترجم مما سبق، عليه أن يعتمد على بعض الإجراءات الذهنية:

أولا: ينبغي أن يشتغل على الصعيد المفهومي، ذلك أن المفهمة **conceptualization** تعني أن المترجم ينكب على قراءة اللغة-المصدر، ويفكر فيها في شكل مفاهيم. وعملية المفهمة هذه، تجعله قادرا على أن يدرك أن الأفكار في النص-المصدر توجد كما هي ممثلة في شكل رموز لغوية في اللغة-الهدف (وومسلي، 1970) وعلاوة على ذلك، فالخصائص الدلالية التي تربط الكلمات في اللغة-المصدر، تجعله قادرا على بناء المفاهيم، وعلى إعطائها وجودا واقعيًا في ترجمته. لا مناص له، إذن، لنقل مفهوم متضمن في لغة-مصدر ما، من وضع الخصائص الدلالية لهذه اللغة في شكل مفاهيم. وذلك لأن مادة الترجمة تتمثل في المفاهيم وفي وجودها في ذهنه، لا في الرموز اللغوية كما تمت بنيتها في اللغة-المصدر (سفيشر، 1981).

وهذا هو السبب الذي جعلنا لم نستعمل مصطلح "فهم" لكونه لا يكفي لنقل الدلالة التي يشير إليها فعل "يفهم". فعملية الفهم تعني إدراك المعنى وحصره والإمساك به والتقاطه. ولكي يفهم شخص معين لغة نص-مصدر، فهو في حاجة إلى أن يكون مستأنسا بها كثيرا. بيد أن المترجم يحتاج إلى مفهمتها كما سبق حتى يتمكن من إنتاج ترجمة جيدة. وبما أن القارئ العادي للغة-المصدر ليس مفروضا فيه أن يترجمها، فإنه ليس محتاجا إلى تحويل الأفكار المتضمنة في هذه اللغة إلى مفاهيم. وتقتصر مهمة هذا القارئ على فهم الطابع اللغوي للغة-المصدر. إنه لا يقرأ إلا من أجل معرفة الرموز أو الكلمات المستعملة في هذه اللغة. فكل فرد يستطيع فهم عبارة معينة، ليس مجبرا على صوغ مفهوم لها، اللهم إلا إذا طلب منه أن يترجمها إلى لغة أجنبية.

وعندما يقوم فرد آخر، غير المترجم، بفهم شيء ما فإنه يدرك معناها بكيفية خاصة جدا. مثلا عندما يقول المرء: (I neighbor is vacationing understand my) فإن المستمع قد يعتبرها حقيقة، وبالتالي لن يكون هناك

داع لمفهومها. إن الترجمة، باعتبارها فعلا فكريا، تهتم بالمعرفة الكاملة للاختلافات اللغوية والدلالية بين لغتين مختلفتين (ريتشاردز، 1953)، ومن ثم، فالترجمة تقتضي أكثر من مجرد فهم اللغة-المصدر. أن يفهم المرء معناه أن تكون له معلومات ومعارف حول الشيء (...). وتستلزم مسألة المفهمة التفكير الواعي في الطريقة التي تنتظم بها الكلمات في اللغة المصدر، فالمرجم، الذي يتق إلى ترجمة جيدة، عليه أن يعرف كيف تؤثر الكلمات المجاورة في الكلمات الأخرى، داخل نفس البنية التركيبية وكيف تغير من معانيها (كواين، 1966).

وفي الترجمة الشفهية، يكون المترجم بصدد الإفصاح عن جملة ما لتفسير المعنى المقصود، وبالتالي لتفادي أي لبس ممكن. فهو يفصح بغية التوضيح. وأحيانا، قد يقوم المترجم، حسب مستوى تعقيد اللغة-المصدر، بتحليل التركيب النحوي للجملة (نيومارك، 1979). ويمكن اعتبار المترجم "مفصحا" ما دامت هذه الطريقة تعتبر جزءا من أنشطته الفكرية. وتتطلب العمليات الذهنية في الترجمة، أن يكون المترجم متمعنا، وهذا يعني أنه ينبغي أن يفكر بعمق، أن يصبح وسيطا، وأن يمعن النظر مليا في لغة المصدر قبل الإقدام على تحرير ترجمته. ولهذا فإن مصطلحي "متمعن" و"وسيط" بمثابة بديلين لكلمة "مترجم"، فالمترجمون ينجزون عملهم بكيفية تمعنيه.

ويعتبر التفسير سمة أخرى للعملية الذهنية التي يقوم بها المترجم. إن التفسير عبارة عن شرح نقدي أو تأويلي يسبق إنتاج نص-هدف. ورغم أنه ليس ضروريا في شموليته، فإنه يمكن الاعتماد عليه كأداة لإتقان الترجمة. وإذا كانت بعض اللغات-المصدر تفسيرية في طبيعتها، فإن لغات أخرى لا تحتاج إلى شرح. ولا يعد المترجم مفسرا إلا إذا اشتغل على لغة-مصدر تفسيرية (ليمان، 1971).

وبدعي أن المترجمين هم أهل معرفة. وهم بالفعل كذلك إذ أنه على المترجم، لكي يصل إلى المعرفة، أن يتعرف على كل شيء أو يعترف بكل شيء له صلة مباشرة بطبيعة ومحتوى وهدف لغة-مصدر معينة. وعندما لا تكون هذه اللغة قابلة للمعرفة من طرف المترجم، فإن الإنتاج المتوخى سيكون مستحيلا. فينبغي أولا، أن يتم فهم اللغة-المصدر وإدراكها. ينبغي أن تكون هذه اللغة داخلية في المجال السنني والدلالي لقدرة المترجم. وإذا لم تكن اللغة المصدر معرفية، فإنه يعجز عن تحديد أسباب الفشل أو أسباب النجاح. وبعد أن يكون قد توفر على معرفة باللغة-المصدر، آنذاك فقط يمكن له أن يتعامل معها باعتبارها موضوعا للفكر (هولمز، 1970).

وبما أنه أسلفنا القول، في مستهل هذا البحث، إن الترجمة ليست عملية علمية خالصة، فإن للحواس الإنسانية دورا كبيرا في إنتاج اللغة-الهدف. وإذا كنا نؤمن إيمانا بأنه ما كل شيء نفهمه قد تمت مفهمته بفضل تراكم تعلمنا وتجربتنا وتربيتنا، فإنه ينبغي، إذن، أن نترك هامشا للاعتقاد بكوننا نحصل على المعرفة اعتمادا على قوة حواسنا. ومما يعضد هذا الأمر حاجة المترجم للاعتماد على شيء آخر يتعدى المعنى السطحي للغة-المصدر. ويمكن أن نطلق على المترجمين، في ضوء هذا التصور اسم "المدركين". وهم بالفعل كذلك، لأن الإدراك هو الحصول على المعرفة، وعلى معلومات أخرى عن طريق الحواس. ويحتاج المترجمون، في تعاملهم مع تعقيدات اللغة المختلفة، ومع خفياتها الدلالية، إلى سيورة الإدراك العقلي. ينبغي للمترجم أن يمتلك طبيعيا القدرة على التمييز. ولأنه يتوفر على موهبة الإحساس الفريد بالتنوعات اللغوية وبالأغازها، فإنه بالإمكان اعتباره، بحق، "مدركا بالإحساس". بيد أن السؤال المطروح هو: بأي معنى يختلف فعل "أدرك بالإحساس" عن فعل "أدرك بالعقل"؟ فعندما يتعقل المترجم معنى لغة-مصدر معينة، فإنه يمسك بهذا المعنى بواسطة العقل لا بالحواس ولكي يتعقل، فالمترجم يراوده ذهنا شك ما إزاء اللغة، فيكون تصورا أو اعتقادا أو فكرة ما دون يقين نهائي. وعندما يتم هذا التعقل، يشعر بالحاجة إلى مراجعة ترجمته قبل نشرها، وذلك لأن تعقل المترجم هو إعمال العقل في تأمل الأفكار... إنها عملية هدم لغوي ودلالي لن تكون إلا عملية عقلية، يميل فيها المترجم إلى استحضار رد فعل المتلقي في اللغة-الهدف. وبإمكان هذا الموقف أن يساعده على القيام بالتعديلات الضرورية في اللغة-الهدف. ويقتضي ذلك الإجابة على التساؤل التالي: بأي معنى تجري عملية الاستيعاب لدى المترجم؟ ومدى أهمية الاستيعاب في فعل الترجمة؟ الاستيعاب فعل بواسطته يقوم المترجم بتحويل واستلهام مفاهيم مشتقة قصد جعلها أجزاء ضمن مواد لغوية يكون واعيا بها. وبهذا المعنى، يمكن اعتبار الاستيعاب مسألة حاسمة في وضع المعادلات (سفيشر، 1981). وينبغي أن تصبح المفاهيم، التي اشتقها المترجم من اللغة المصدر جزءا من المادة اللغوية للغة-الهدف، وأي تفاعل بين المواد اللغوية المنتمية لخلفتين لغويتين متباينتين، ينبغي القيام به منذ البدء. وفي غياب الاستيعاب المعرفي، سيكون هذا النوع من الدمج مسألة مستحيلة (بيفر، 1968)، وأمام غياب هذا النوع من التهجين المفاهيمي، لن يتم إنجاز ترجمة جيدة. ومن شأن الوعي بخيوط هذا "الاستيعاب" الذهني، أن يساهم في حل جزء كبير من مشاكل الترجمة، فضلا عن أن عدم القدرة على هذا الاستيعاب الذهني، قد يؤدي إلى لغة هدف ناقصة تماما وضعيفة المعنى.

ومن اللازم في ختام هذا البحث، أن نرسم ملامح حل يرتكز على مفهوم الاستيعاب، ويتمثل ذلك في:

- 1 - أن الهوة الفاصلة بين لغتين مختلفتين، وبغض النظر عن طبيعة تبايناتها، يمكن ردمها أو تقليصها عبر إقامة طرائق أو وسائل يتمكن بواسطتها المترمون على فن الترجمة أن يصبحوا بمثابة "مستوعبين".

2 - ينبغي إخضاع هؤلاء المترجمين لأكبر عدد ممكن من التمرينات النظرية والعملية، وجعلهم قادرين على التخاطب، لأن التخاطب في فن الترجمة يعني استئناس المترجمين بالمعاني اللغوية المتضمنة في اللغتين معاً. كما أن التخاطب يمكن أن يسهل ويعجل عملية الاستيعاب.

3 - ما دام المترجمون على فن الترجمة ليس لديهم نظرية مخصوصة وجاهزة ومعتمدة، فالبديل إذن هو تمرينهم وتمريسهم كي يصبحوا متمكنين وقادرين على التمييز اللغوي. والتمييز اللغوي يعني التفريق والتوجيه والفصل وإدراك أو عدم إدراك وجه الاختلاف. وبالإمكان صقل حواس المترجم لتصبح قادرة على التمييز، وذلك بالاستغلال على أكبر عدد من التمرينات، وبحثهم على القيام بمقارنة ومقابلة نسخ مترجمة لكنها تعتبر ناقصة، وجعلهم يستحضرون رد فعل المتلقي في اللغة-الهدف مقارنة بالمتلقي في اللغة-المصدر. ولا يستطيع المترجمون التمييز ما لم يتم الزج بهم في تمارين كثيرة وذات طابع لغوي قابل للتمييز.

4 - ينبغي تلقين المترجمين كيفية إتقان فن "البناء"، ذلك لأن فهم جملة ما في اللغة المصدر، أثناء عملية الترجمة شيء، وبناء معناها المشتق بواسطة الرموز اللسانية للغة-الهدف شيء آخر. إن الاقتصار على فهم جملة ما في اللغة-المصدر، لا يضمن إيجاد بنية متماسكة ومبنية بناء جيداً في اللغة-الهدف. ورغم صحة كون المترجمين يحتاجون إلى مفهومة بنيات اللغة-المصدر، فإن الإخفاق في هذا المسعى، قد يؤدي، لا محالة، إلى ضعف في عملية البناء، بل وحتى في تمثيل المعنى المشتق من اللغة-الهدف. من اللازم التنصيص على أن تكوين المترجمين ينبغي أن يهتم بكيفية بناء خلاصة بعض الإدراكات الفكرية التي تم الحصول عليها، عبر الحواس أو العقل، بناء لغويًا. ومن شأن هذا النوع من التكوين، الرفع من قدرة المترجم على التفكير التجريدي، أي الرفع من قوة تفكيره المنطقي (أفيرسن، 1969).

وختاماً، إذا كانت الترجمة، في جوهرها، نشاطاً ذهنياً، فإن ذلك يتطلب من المترجمين عليها أن يملكو نصيباً كبيراً من الفطنة اللغوية. يحتاج المترجم إلى معرفة الكيفية التي تتعلق بها الرموز اللغوية الموجودة وتنظم وفقاً لقواعد أهل اللغة-الهدف. ويبرز البناء اللغوي، القائم على اعتبارات فلسفية وسيكولوجية باعتباره حصيلة للإدراك الفكري وللتفكير في الأشياء والمعاني التي اشتقت عن طريق الحواس.

ويمكن جعل إتقان الترجمة أمراً ممكناً، إذا ما تم تشذيب التنوعات اللسانية لدى المرء. لكن ما هو إلزام، هو ضرورة تخفيف مدرسي الترجمة من اعتمادهم على ما يسمى "نظرية الترجمة"، والشروع في تلقين طلبتهم كيف يكونون قادرين، لغويًا، على الاستيعاب والبناء وإبداع المفاهيم والإدراك والتفسير والمعرفة والقدرة على التخاطب إلى حد كبير.

هامش:

(*) عبد الله الحميدان، مجلة التواصل اللساني، المجلد الرابع، العدد الثاني، سبتمبر 1992، ص 15-17.

أدبيات البحث:

وتكون فلسفة الاحتمالات حاضرة بقوة في العملية الذهنية المتصلة بالترجمة، وذلك لأن المترجم يجد، بالكاد، العناصر المتطابقة في اللغة-المصدر (ومسلي، 1970). وهكذا يكون مجبراً، باستمرار، على انتقاء واحد من بين عدة تأويلات ومعادلات ممكنة. ويمكن كذلك الاستدلال على أن عملية الترجمة لا تتحقق إلا بواسطة الفكر (بار-هيلل، 1954).

وهذه الوساطة الذهنية، تجعل المترجم قادراً على عرض الأفكار المتضمنة في اللغة-المصدر لا المعنى اللغوي المطابق لهذه اللغة بيرويش، 1969). غير أن ما نحن بصدد، لا يرتبط، البتة، بمسألة هل الترجمة ممكنة أم لا؟ يقدر ما يتصل بنوع الصعوبات التي يصادفها المترجم على مستوى الوساطة الذهنية؟ فكيف يعبر المترجمون المحترفون، في اللغة-الهدف، عن فكرة في اللغة-المصدر بصيغة أخرى؟ ويستدل (جونسن وليرد، 1970) على أن لا أحد يعلم علم اليقين الكيفية التي يتم بها تمثيل المعنى في الذاكرة، لكننا نعلم على أن العناصر التي يتشكل منها المعنى، هي ذات طبيعة لغوية. ويتم توظيف هذه العناصر في السيرة المعرفية التي سبقت الإشارة إليها. ومن ثم، يمكن القول إننا في الممارسة الترجمة لا نحتاج إلى معرفة الكيفية التي يتم بها تمثيل المعنى، بل نحتاج، بكل تأكيد، إلى معرفة الكيفية التي يتشكل بها المعنى خارج العوامل اللغوية.

وتعتبر طبيعة النشاط للمترجم، من الناحية الأتالية Etymologically، شبيهة إلى حد كبير بمشكال Kaleidoscopie للأنشطة الذهنية. وإن الأمر كذلك، في حدود أن لفظة "مترجم" لا تستطيع أن تمثل، كلية، جميع القدرات المنطقية والفكرية التي يعتمد عليها هذا الشخص في سيرة إنتاج لغة-هدف. وبناء على ذلك، يمكن أن نقترح استبدال لفظة "مترجم": "المدرّك"، "المولد"، "الباني"، "المركب"، "واضع المفاهيم" أو ربما "المستوعب". ويبقى، مع ذلك، أن هوية المترجم بكاملها أكبر من مجموع أجزائها كاملة. وكون "الترجمة" عملية ذهنية، فهذا رأي لا يمكن دحضه، وهذه العملية تختلف عن أي فعل تأويلي آخر. أن "نترجم"، معناه أن تعبر في لغة أخرى عن مصطلحات أو رموز لغة معينة. ومع ذلك، لفظة "الترجمة" غير مقتصرة على فعل الإنتاج في اللغة-الهدف. فعندما نطلب من شخص ما أن "يترجم حماسه إلى أفعال ملموسة"، فإننا نكون قد طلبنا منه أن يترجم وسيلة أو وضعا ما إلى آخر. وبالمقابل، فـ"الترجمة"، في المجال الكنسي، تعني تحويل رفات قديس من مكان لآخر، أي نقل شخص إلى السماء دون تعريضه للموت. وبالمثل، عندما نترجم، فإننا ننقل المعنى من اللغة-المصدر دون أن نخضعه لأي شكل من أشكال التشويه، ففي عملية الترجمة، لا نعبر في اللغة-الهدف بكيفية إيحائية (بيفيرتش، 1961). ومن جهة أخرى، فالتأويل فعل تأويلي للمعنى المسند للقول أو للفعل. ومن ثم فهو فعل يتصل بالتدلال أكثر مما يرتبط بالترجمة. وبهذا المعنى، فالتأويل يسعى إلى التعبير عن المأساة المتمثلة في محاولة إبراز فكرة المعنى، بينما يتم إبعاد الانطباعات الذاتية للمترجم بصفة أساسية.

فالمحاولات التأويلية ينبغي تجنبها لكون عمل المترجم يقوم على نقل المعنى المقصود دون اجتهاد فكري كبير. فقراءته الشخصية قد تؤثر على ترجمته (واط، 1970). وللكشف عن بعض الخصائص الفكرية للمترجم، نحتاج كذلك إلى التمييز بين "كفاءاته ومهارته" أثناء إنجازه لعمله. والمقصود بالكفاءة، تلك الخصائص اللغوية المتصلة بتجربته، والتي يوظفها في عملية الترجمة، والقابلة مع ذلك للتطوير. أما لفظة "مهارة"، فإنها توظف للإحالة على استعداد المترجم أو

قدرته على الإنجاز. فالمهارة تحيل على أهليته وتمكنه ومواهبه الفكرية وحنكته كالذكاء والفتنة. ولكي يستفيد المترجم مما سبق، عليه أن يعتمد على بعض الإجراءات الذهنية:

أولاً: ينبغي أن يشتغل على الصعيد المفهومي، ذلك أن المفهمة conceptualization تعني أن المترجم ينكب على قراءة اللغة-المصدر، ويفكر فيها في شكل مفاهيم. وعملية المفهمة هذه، تجعله قادراً على أن يدرك أن الأفكار في النص-المصدر توجد كما هي ممثلة في شكل رموز لغوية في اللغة-الهدف (وومسلي، 1970) وعلاوة على ذلك، فالخصائص الدلالية التي تربط الكلمات في اللغة-المصدر، تجعله قادراً على بناء المفاهيم، وعلى إعطائها وجوداً واقعياً في ترجمته. لا مناص له، إذن، لنقل مفهوم متضمن في لغة-مصدر ما، من وضع الخصائص الدلالية لهذه اللغة في شكل مفاهيم. وذلك لأن مادة الترجمة تتمثل في المفاهيم وفي وجودها في ذهنه، لا في الرموز اللغوية كما تمت بنيتها في اللغة-المصدر (سفيشر، 1981).

وهذا هو السبب الذي جعلنا لم نستعمل مصطلح "فهم" لكونه لا يكفي لنقل الدلالة التي يشير إليها فعل "يفهم". فعملية الفهم تعني إدراك المعنى وحصره والإمساك به والتقاطه. ولكي يفهم شخص معين لغة نص-مصدر، فهو في حاجة إلى أن يكون مستأنساً بها كثيراً. بيد أن المترجم يحتاج إلى مفهمتها كما سبق حتى يتمكن من إنتاج ترجمة جيدة. وبما أن القارئ العادي للغة-المصدر ليس مفروضاً فيه أن يترجمها، فإنه ليس محتاجاً إلى تحويل الأفكار المتضمنة في هذه اللغة إلى مفاهيم. وتقتصر مهمة هذا القارئ على فهم الطابع اللغوي للغة-المصدر. إنه لا يقرأ إلا من أجل معرفة الرموز أو الكلمات المستعملة في هذه اللغة. فكل فرد يستطيع فهم عبارة معينة، ليس مجبراً على صوغ مفهوم لها، اللهم إلا إذا طلب منه أن يترجمها إلى لغة أجنبية.

وعندما يقوم فرد آخر، غير المترجم، بفهم شيء ما فإنه يدرك معناها بكيفية خاصة جداً. مثلاً عندما يقول المرء: (neighbor is vacationing I understand my) فإن المستمع قد يعتبرها حقيقة، وبالتالي لن يكون هناك داع لمفهمتها. إن الترجمة، باعتبارها فعلاً فكرياً، تهتم بالمعرفة الكاملة للاختلافات اللغوية والدلالية بين لغتين مختلفتين (ريتشاردز، 1953)، ومن ثم، فالترجمة تقتضي أكثر من مجرد فهم اللغة-المصدر. أن يفهم المرء معناه أن تكون له معلومات ومعارف حول الشيء (...). وتستلزم مسألة المفهمة التفكير الواعي في الطريقة التي تنتظم بها الكلمات في اللغة المصدر، فالمترجم، الذي يتق إلى ترجمة جيدة، عليه أن يعرف كيف تؤثر الكلمات المجاورة في الكلمات الأخرى، داخل نفس البنية التركيبية وكيف تغير من معانيها (كوين، 1966).

وفي الترجمة الشفهية، يكون المترجم بصدد الإفصاح عن جملة ما لتفسير المعنى المقصود، وبالتالي لتفادي أي لبس ممكن. فهو يفصح بغية التوضيح. وأحياناً، قد يقوم المترجم، حسب مستوى تعقيد اللغة-المصدر، بتحليل التركيب النحوي للجملة (نيومارك، 1979). ويمكن اعتبار المترجم "مفصلاً" ما دامت هذه الطريقة تعتبر جزءاً من أنشطته الفكرية. وتتطلب العمليات الذهنية في الترجمة، أن يكون المترجم متمعناً، وهذا يعني أنه ينبغي أن يفكر بعمق، أن يصبح وسيطاً، وأن يمعن النظر ملياً في لغة المصدر قبل الإقدام على تحرير ترجمته. ولهذا فإن مصطلحي "متمعن" و"وسيط" بمثابة بديلين لكلمة "مترجم"، فالمترجمون ينجزون عملهم بكيفية متمعنية.

ويعتبر التفسير سمة أخرى للعملية الذهنية التي يقوم بها المترجم. إن التفسير عبارة عن شرح

نقدي أو تأويلي يسبق إنتاج نص-هدف. ورغم أنه ليس ضروريا في شموليته، فإنه يمكن الاعتماد عليه كأداة لإتقان الترجمة. وإذا كانت بعض اللغات-المصدر تفسيرية في طبيعتها، فإن لغات أخرى لا تحتاج إلى شرح. ولا يعد المترجم مفسرا إلا إذا اشتغل على لغة-مصدر تفسيرية (ليمان، 1971).

وبدهي أن المترجمين هم أهل معرفة. وهم بالفعل كذلك إذ أنه على المترجم، لكي يصل إلى المعرفة، أن يتعرف على كل شيء أو يعترف بكل شيء له صلة مباشرة بطبيعة ومحتوى وهدف لغة-مصدر معينة. وعندما لا تكون هذه اللغة قابلة للمعرفة من طرف المترجم، فإن الإنتاج المتوخى سيكون مستحيلا. فينبغي أولا، أن يتم فهم اللغة-المصدر وإدراكها. ينبغي أن تكون هذه اللغة داخلية في المجال السنني والدلالي لقدرة المترجم. وإذا لم تكن اللغة المصدر معرفية، فإنه يعجز عن تحديد أسباب الفشل أو أسباب النجاح. وبعد أن يكون قد توفر على معرفة باللغة-المصدر، آنذاك فقط يمكن له أن يتعامل معها باعتبارها موضوعا للفكر (هولمز، 1970).

وبما أنه أسلفنا القول، في مستهل هذا البحث، إن الترجمة ليست عملية علمية خالصة، فإن للحواس الإنسانية دورا كبيرا في إنتاج اللغة-الهدف. وإذا كنا نؤمن إيمانا بأنه ما كل شيء نفهمه قد تمت مفهمته بفضل تراكم تعلمنا وتجربتنا وتربيتنا، فإنه ينبغي، إذن، أن نترك هامشا للاعتقاد بكوننا نحصل على المعرفة اعتمادا على قوة حواسنا. ومما يعضد هذا الأمر حاجة المترجم للاعتماد على شيء آخر يتعدى المعنى السطحي للغة-المصدر. ويمكن أن نطلق على المترجمين، في ضوء هذا التصور اسم "المدركين". وهم بالفعل كذلك، لأن الإدراك هو الحصول على المعرفة، وعلى معلومات أخرى عن طريق الحواس. ويحتاج المترجمون، في تعاملهم مع تعقيدات اللغة المختلفة، ومع خفياتها الدلالية، إلى سيرورة الإدراك العقلي. ينبغي للمترجم أن يمتلك طبيعيا القدرة على التمييز. ولأنه يتوفر على موهبة الإحساس الفريد بالتنوعات اللغوية وبألغازها، فإنه بالإمكان اعتباره، بحق، "مدركا بالإحساس". بيد أن السؤال المطروح هو: بأي معنى يختلف فعل "أدرك بالإحساس" عن فعل "أدرك بالعقل"؟ فعندما يتعقل المترجم معنى لغة-مصدر معينة، فإنه يمسك بهذا المعنى بواسطة العقل لا بالحواس ولكي يتعقل، فالمترجم يراوده ذهنيا شك ما إزاء اللغة، فيكون تصورا أو اعتقادا أو فكرة ما دون يقين نهائي. وعندما يتم هذا التعقل، يشعر بالحاجة إلى مراجعة ترجمته قبل نشرها، وذلك لأن تعقل المترجم هو أعمال العقل في تأمل الأفكار... إنها عملية هدم لغوي ودلالي لن تكون إلا عملية عقلية، يميل فيها المترجم إلى استحضار رد فعل المتلقي في اللغة-الهدف. وبإمكان هذا الموقف أن يساعد على القيام بالتعديلات الضرورية في اللغة-الهدف. ويقتضي ذلك الإجابة على التساؤل التالي: بأي معنى تجري عملية الاستيعاب لدى المترجم؟ ومدى أهمية الاستيعاب في فعل الترجمة؟ الاستيعاب فعل بواسطته يقوم المترجم بتحويل واستلهم مفاهيم مشتقة قصد جعلها أجزاء ضمن مواد لغوية يكون واعيا بها. وبهذا المعنى، يمكن اعتبار الاستيعاب مسألة حاسمة في وضع المعادلات (سفيشر، 1981). وينبغي أن تصبح المفاهيم، التي اشتقها المترجم من اللغة المصدر جزءا من المادة اللغوية للغة-الهدف، وأي تفاعل بين المواد اللغوية المنتمية لخفيتين لغويتين متباينتين، ينبغي القيام به منذ البدء. وفي غياب الاستيعاب المعرفي، سيكون هذا النوع من الدمج مسألة مستحيلة (بيفر، 1968)، وأمام غياب هذا النوع من التهجين المفاهيمي، لن يتم إنجاز ترجمة جيدة. ومن شأن الوعي بخيوط هذا "الاستيعاب" الذهني، أن يسهم في حل جزء كبير من مشاكل الترجمة، فضلا عن أن عدم القدرة على هذا الاستيعاب الذهني، قد يؤدي إلى لغة هدف ناقصة تماما وضعيفة المعنى.

والترجمة عملية معقدة تستدعي استحضار عدة معارف وتستلزم مهارات مختلفة متعددة. ويمكننا لتبسيط الأمور، تقسيم هذه العملية إلى ثلاث مراحل:

- الفهم: Comprehension

وهي مرحلة تتلخص في تأويل الخطاب في اللغة الأصل للإحاطة بالمعنى المراد تبليغه في اللغة الهدف.

- الانسلاخ اللغوي: Déverbalisation

وهي مرحلة تهدف إلى تحرير المعنى من البنيات اللغوية للنص الأصل حتى لا تتداخل مع بني اللغة الهدف في النص المترجم.

- إعادة التعبير: Réexpression

وهي المرحلة الأخيرة في عملية الترجمة وتهدف إلى إعادة صياغة نفس المعنى باحترام كامل لخصوصيات الكتابة في اللغة الهدف.

هذا التقسيم لا يعني أن هناك استقلالاً تاماً لكل مرحلة مرحلة، بل إن هذه المراحل تتكامل ويجمعها ارتباط وثيق يفضي في الأخير لإنتاج نص مترجم متماسك، واضح المعالم، يحترم المعنى الأصل ويأخذ بعين الاعتبار الشروط الجديدة لاستقبال الترجمة في اللغة الهدف. كما أن هذه المراحل تتخللها عملية البحث التوثيقي التي تهدف إلى حشد المتممات المعرفية للمساهمة في تحصيل معنى النص الأصل وكذا احترام الاستعمال الوارد في اللغة الهدف وفي الحقل المعرفي أو المهني الذي ينتمي إليه النص المراد ترجمته. والذي يهمننا ف هذا الإطار هما المرحلتان الأولى والثانية (الفهم و الانسلاخ اللغوي).

مرحلة الفهم:

1- تأويل الخطاب في اللغة الأصل للإحاطة بالمعنى:

قد يعني من بين ما يعنيه مصطلح "التأويل" التفسير أو إظهار المضمير من المعاني عبر الأدوات اللغوية التي يقدمها النص الأصل، إذ يمكننا أن نقول إن التأويل هو الانطلاق من ظاهر النص للإحاطة بما أضمّر فيه من معاني أو بصيغة أخرى يمكن أن نقول إن تأويل نص ما يعني أن نفتحه على إمكانيات متعددة للمعنى. ذلك أن ظاهرة الإضمار في الكلام مسألة معروفة، فالفكر يختار للتعبير عن معنى محدد أشكالاً لغوية معقدة تظهر وتضمّر حسب العلاقة التي تجمع المتكلم بمخاطبيه وحسب الصورة التي يرسمها لهم مسبقاً، فأنّت إذا أخذت خطاباً بين أخصائيين مثلاً تجد أن نسبة المضمّر عالية جداً، بينما إذا أخذت خطاباً متخصصاً موجهاً في جريدة ما إلى جمهور عريض تجد أن اللجوء إلى الإفصاح وإلى التفسير والشرح يغلب كثيراً. وعلى العموم فإن الكاتب لا يقول بالكلمات كل ما يريد تبليغه من معنى، لأن المقام أو السياق يلعبان دوراً كبيراً في التفسير وفي تبين ما أضمّر من كلام. ومن ثم فإن المترجم يختلف عن القارئ العادي باستجلاء ما أضمّر من أفكار وقراءة ما بين السطور ليتمكن من تحصيل المعنى كاملاً ومن دون أي نقص.

وكما يقول جان دوليل:

"إن الانتقال من المفصح عنه في النص المراد ترجمته إلى المضمّر يعني اكتشاف هذا النص انطلاقاً من قراءة معمقة قصد فهم إحياءاته الدقيقة. وهذا يتطلب من المترجم أن يحصل القيمة السياقية لكل الكلمات عبر وزن أهمية دلالاتها النسبية ثم تقييم الأسلوب وحصر معنى الجمل داخل المقامات التي جاءت فيها وليس منعزلة بتجميع دلالات الكلمات المكونة لها". (Jean 'discours Delisle, 'Analyse du

ويضيف عمر كوش:

"ويلعب التأويل دوراً في تصحيح القراءة، وتعددتها وتبريرها. وهو يؤسس للمعنى والتماسك في سياق محدد بغض النظر عن أية ضمانات مطلقة للقيمة أو الحقيقة، وعلى نظرية التأويل إدراج هذا الاختلاف الفلسفي بين الموضوعي والنسبي... ومن الممكن تصور المعنى بأنه ما ينتج عن

كلمات النص وقضاياها، وهو يشكل "استقلاله الدلالي"، أو أنه يمثل قصد المؤلف أو القارئ بوصفه ذاتاً، أي حقيقة النص "الموضوعية" مقابل فعل القصد. (كوش عمر، "التأويل والنظرية الأدبية عند غادامر: كل فهم وكل حقيقة تأويل")

إلا أنه، حسب تصورنا، لا يجب أن يتجاوز التأويل المعنى الذي يأتي به النص الأصل إلى قصدية الكاتب التي تسبق كتابته لهذا النص. لا يجب أن ينسب المترجم للنص الأصل غير ما جاء فيه من معنى، لذا يجب التمييز بين ما يبلغ عنه النص حقاً وما تداوله الكاتب في ذهنه قبل كتابته لهذا النص. فالمترجم لا يعيد التعبير عن قصدية الكاتب التي تبقى في إطار الفرضية على كل حال، بل إنه يعيد صياغة معنى يستشفه من خلال قراءته للنص المراد ترجمته. خلاصة الكلام، إن التأويل خلال عملية الترجمة يهدف إلى تحصيل معنى النص ثم التعبير عنه في لغة هدف عبر المحافظة على تركيبة مناسبة بين المضمرة والمفصح عنه تأخذ بعين الاعتبار نوعية المتلقي. وبالتالي فإن التأويل يهتم بالخطاب داخل سياقه لتحصيل إمكانية للمعنى تتوافق مع ما جاء في النص الأصل ولا يبحث في الأفكار التي سبقت إنتاج هذا النص.

2 - وضع المقال في سياقه للمرور من إمكانيات المعنى إلى تحصيل المعنى الحقيقي للنص الأصل:

أن نترجم، فهذا يعني أن تخترق حاجز الكلمات والجمل المعزولة عن سياقها للوصول إلى المعنى. حقا إننا نستعمل العلامات اللغوية التي تكون النص، لكن بالإضافة إلى ذلك يحتاج المترجم إلى مكملات غير لغوية لتحصيل المعنى. هذه المكملات التي نسميها مكملات معرفية تتضمن كل ما هو مفاهيمي وثقافي وجمالي-عاطفي. إنها تنضاف إلى النص لتكون أبعاده السياقية العامة (السياق اللغوي، السياق المعرفي والسياق الضرفي). لنقل إذن إن الترجمة تستلزم الفهم أولاً في اللغة الأصل، لكن هذا الفهم لا يقتصر على العناصر اللغوية فقط، بل يتجاوز إطار النص اللغوي ليستحضر معارف المترجم ومهاراته المتعلقة بتحليل الخطاب داخل سياقه العام.

والسياق يلعب دور مصفاة تمكننا من اختيار واحدة من بين إمكانيات متعددة للمعنى في نص ما. ويمكن أن نقسم السياق العام المصاحب لأي نص إلى ثلاثة أنواع من السياقات: - السياق اللغوي: إن إمكانيات دلالة كلمة أو جملة تحدد في لحظة أولى بواسطة دلالات الكلمات والجمل المحيطة (السياق اللغوي) وهذا يسمح في فترة أولى باختيار دلالة محددة للفظ متعدد الوجوه، لكن لن يسمح بتحصيل المعنى المتكافئ ككل.

السياق المعرفي: ونعني به مجموع الأفكار التي تنشأ في ذهن المتلقي وهو يقوم بعملية قراءة نص يرغب في ترجمته. إن تأويل الخطاب يقتضي مقابلة بين العالم الذهني للقارئ وعالم النص المراد فهمه. فكل عملية للفهم تستلزم إذن محصلة لتجارب قبلية يخزنها المتلقي-المترجم على شكل تمثيلات مجردة تلعب دور جهاز مستقبل للمعلومات الجديدة التي يتضمنها النص.

- السياق الضرفي: نعني به مجموع العناصر الغير لغوية المصاحبة لإنتاج نص ما، أي الإطار الذي أنتج فيه النص (الضرف الجغرافي، التاريخي، السوسيو-سياسي، الاقتصادي والثقافي... الخ).

وعليه فإننا نكون المعنى انطلاقاً من النص وكل العناصر المصاحبة له، أي ظروف إنتاج الخطاب وشروط إنتاجه المعرفية، الاجتماعية، التاريخية والثقافية... الخ. وفي الواقع، إن بناء المعنى يخضع لدلالات الكلمات في سياقاتها وكذا لمعلومات لا لغوية مصاحبة لإنتاج وتلقي النص. ومن ثم، فإن تحصيل المعنى وفهم الخطاب يستلزم تكميل التحليل اللغوي للنص

بمعطيات غير لغوية تكون السياق العام للنص المراد ترجمته. ويمكن الجزم بأن كل عملية للفهم تفصي السياق العام للخطاب تبقى غير كاملة وتسقط لا محالة في التشويه. يسمح إذن السياق العام برفع الغموض، بتقليص التأويلات الشخصية الخاطئة وباختيار واحدة من بين إمكانيات متعددة للمعنى قصد فهم الخطاب فهما جيدا في اللغة الأصل قبل التفكير في إعادة صياغته في اللغة الهدف.

مرحلة الانسلاخ اللغوي

يجب التحرر من البنيات اللغوية الأصل والبحث عن بنيات لغوية جديدة في اللغة الهدف لتفادي التداخل بين اللغتين خلال مرحلة إعادة التعبير. وتضطلع عملية الانسلاخ اللغوي بمكانة مهمة داخل النظرية التأويلية للترجمة، بحكم أنها تبني تصورهما للترجمة على ضرورة نقل المعنى في سياقه العام لا على تحويل العناصر اللغوية. وبالنسبة لسلسكوفيتش (صاحبة النظرية التأويلية بفرنسا والتي كانت إحدى الباحثات النشطات في المدرسة العليا للمترجمين والتراجمة – السوربون الجديدة - باريس) 'فإن المترجم لا يتتبع بنيات النص الأصل، بل بالعكس يجب أن يبتعد عن هذه البنيات بواسطة انسلاخ لغوي يمكنه من تحصيل المعنى ويحافظ له على حرية تعبيرية خلال إعادة كتابة النص الهدف'.

وتمثل هذه العملية الذهنية، التي تنطلق من مادة النص اللغوية لتحصيل الأفكار بالاستعانة بالمتنيمات الغير لغوية، ما سميناه بالانسلاخ اللغوي. ويجب على المترجم، كما تقول ماريان ليدرير (باحثة بمدرسة باريس للترجمة التأويلية – السوربون الجديدة): " أن يفصل المعنى المراد نقله بأناة عن الغشاء اللغوي الأصل لإلباسه غطاء لغويا ملائما في اللغة الهدف. فالوضوح الذي يسعى إليه المترجم من خلال النص المترجم يرتبط إلى حد بعيد بمدى ملائمة الكلام المعاد صياغته لمنطق التركيب في اللغة الهدف".

إذن، خلال مرحلة إعادة الصياغة، يجب على المترجم أن ينتبه إلى مشكل تداخل اللغتين المترجم إليها والمترجم عنها، ويسعى إلى التعبير بحرية متقاربا إدخال تراكيب اللغة الأصل في النص المترجم.

د. عبد الله الحميدان

العمليات الذهنية لدى المترجم:

تحدد خصوصية العملية الترجمية من خلال كونها سيرورة قائمة في مفترق ثقافتين وسياقين متغايرين. فالترجمة ليست جنسا أدبيا، كما أنها ليست خطابا مشبعا بفائض إنتاجه النرجسي الخاص كالشعر أو الرواية مثلا. بل هي ممارسة تعانق فيها الذات مُغايِرَها، وتتطلع لمحاوَرته ومواكبة مستقصيات ومضمورات خطابه. ومن هذه الزاوية، يتعرف المترجم عن نفسه من خلال توسطه بين وضعيتين ثقافيتين وسياقين لغويين متميزين. مما يحيل الممارسة الترجمية إلى عملية مثاقفة بامتياز. إلا أن التفكير في الترجمة، هو أيضا تساؤل حول ما تنطوي عليه من عمليات ذهنية وسيكولوجية ومعرفية وتواصلية. لذلك يقترح هذا المقال التوقف عند بعض مستويات هذه العمليات في علاقتها بالترجمة والمترجم والسنن الثقافي الذي يشتغل عليه أو يصدر عنه.

1- الترجمة والفهم

لا شك أن مفهوم الترجمة يكتنفه بعض الالتباس. إذ إنه يمكن أن يحيل إما على "فعل الترجمة" أو على "نتيجة هذا الفعل". ويبدو أن تناول جانب من هذين الجانبين، يستدعي ويستحضر الآخر بشكل شبه ميكانيكي.

تقول "ماريان لوديرير": «إن الترجمة تحدد موضوعها باعتباره المعنى الذي تنقله من شخص إلى آخر. وهذا المعنى يتجاوز الحقل الدلالي دون أن يتخلّى عنه. ويندرج بذلك في المستوى السيكولوجي دون أن يذوب فيه. فالترجمة تسعى نحو الفهم. أما علم الترجمة فيسعى نحو تحليل كيفية اشتغال وتحقق خطوات وعناصر الفهم».

والواقع أن الطرح الذي يتضمنه هذا النص يشكل الهاجس الذي يصدر عنه مجمل الفعل النظري الذي يتخذ من النشاط الترجمي موضوعا له. فعملية الفهم تعتبر معطى ذهني وكفاءة ثقافية تحتضن فعل الترجمة وتؤطر سيرورته وأفق اشتغاله ومجموع مجزوءاته ومراقبه. وتتكون العمليات المشكلة لسيرورة الفهم، من العمليات التالية: فك الترميز، لتفسير، التأويل، إعادة الترميز، تحقق فعل التواصل.

ومعنى هذا أن عملية الترجمة تشتغل باعتبارها عنصر كشف للمعالجة التي يُخضع لها الفكر الإنساني النص الذي يتلقاه من لغة أخرى. إن إعادة ترميز هذا النص في اللغة/الهدف، تستند لمجموع العمليات الذهنية السابقة والمتزامنة التي أشرنا إليها أعلاه.

وكي نحدد المرجعية النظرية التي تتحكم في طرح الترجمة من حيث علاقتها بالفهم، لا بد من التأكيد أننا نستوحي الترسيم التي يعتمد عليها "دوليل" J.Delisle في سياق نمذجته لنمط اشتغال الخطوات الإدراكية والمعرفية لعملية الترجمة. وهذه الترسيم تستوحي بدورها خطاطة أكثر اتساعا، وهي خطاطة "برنار بواتي" Bernard Poittier، المتعلقة بالنموذج العام للتواصل.

إن عملية الترجمة تقوم عند الشخص الذي يترجم، على نفس الكفاءات التي تحدد بشكل عام- قدرة الفهم عند كل القراء. لكن القدرة على الفهم لا تتحدد فقط بحجم المعارف اللسانية واللغوية التي يتوفر عليها القارئ-المترجم، بل هي مشروطة كذلك بمدى توفره على معرفة موضوعاتية موازية تمكنه من فهم النص في سياق ما يطرحه من مواضيع وتيمات. ولهذا السبب تميز "ماريان لوديرير" -وهي أستاذة في جامعة السوربون- بين القدرة على فهم اللغة، وتقصد بها تلك القدرة التي تستند فقط إلى حصيلة المعارف اللغوية للقارئ، وبين القدرة على فهم النص كفضاء فكري متشابك العلاقات، أي تلك القدرة التي تزوج بين المعرفة اللغوية وبين الإحاطة بالموضوعات التي يطرحها النص الذي تراد ترجمته.

والواقع أن طرح عملية الترجمة على هذا النحو، يملك في اعتقادي- ميزة تجاوز نمط التعامل الأفقي مع عملية الترجمة، أي التعامل معها باعتبارها عملية سكونية ومعزولة عن سياق القيم والمعارف والإحالات التي تُنسجُ النسيج السوسيو-ثقافي/الأصل الذي استتبت فيه النص من جهة، والنسيج السوسيو-ثقافي/الهدف الذي يسعى نشاط المترجم إلى إغنائه بالنص المترجم من جهة أخرى.

ولا شك أن استحضار علم الترجمة في مقاربة هذا الموضوع، يسمح بحصر الحيز الذي يتعلق بالفهم الأفقي للغة من جهة، والحيز الذي يتعلق بالفهم العمودي الذي يقتحم فضاء النص ككل من جهة أخرى. أي حصر الحيز الذي يتعلق بالرصيد اللغوي المرتبط بظاهر المعجم من جهة، والحيز الذي يتعلق بالرصيد المعرفي والإدراكي للمترجم من جهة أخرى. وذلك لأن الترجمة لا تقوم فقط على امتلاك القدرة اللسانية أو اللغوية، بقدر ما تقتضي توفر معارف تيمائية موازية. وهذا يعني أن معرفة اللغة ليست الشرط الوحيد والحاسم لإنجاز الترجمة، لأن فهم اللغة لا يعني بالضرورة القدرة على فهم الامتداد الدلالي للنص المترجم وإدراك مجموع الدِّرايات المُشَفَّرَة التي تكون بنيته الإستمولوجية الخلفية. وذلك لأن النص لا يرتبط بالمعاني المنعزلة للكلمات والجمل، أي بقيمها الدلالية الحرفية، بل يرتبط بكل القيم التي تحيل على المعارف التي يبسطها وتلك التي تضيفها إليه المعالم السياقية والمقامية الضمنية التي تُكوِّن الفضاء الدلالي للنص/الأصل في مختلف تجلياته الحرفية والإيحائية والإحالية.

ومن هذه الزاوية، يمكن القول إذاً إن فهم النص يقوم على أساس شبكة كثيفة من المعلومات والتجارب والانفعالات... إلخ. وهذا يعني أن المترجم مطالب أن يرقى إلى مستوى النص بكل ما يطرحه وما يتناوله وما يحيل عليه. ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا توفر المترجم على ما يكفي من الإحاطة المقنعة بالمرجعية اللغوية والمعرفية التي رافقت عملية صياغة النص/الأصل في لغته الأصلية. فخارج عملية الترجمة أو التلقي يكون مفهوم كلمة ما، هو ذلك الذي يحدده المعجم، أي ذلك الذي يفهمه الجميع بنفس الطريقة تقريباً. إلا أن هذا الفهم المعجمي لا يمثل سوى الدرجة الأولى في فهم وتفسير العلامة اللسانية. أما الدرجة الثانية من الفهم والتفسير، فهي تلك التي تتقابل مع المعنى الذي تأخذه الكلمات والجمل أثناء فعل التواصل.

إن فهم النص وترجمته يستندان دائماً حسب "ماريان لوديرير" إلى معارف عامة تمثل في مجموعها الرصيد المعرفي القائم الذي كونه المترجم من خلال قراءاته السابقة. وقد يحصل ألا يفهم المتلقي/المترجم ملفوظاً ما لأنه يجهل واحدة من الكلمات التي تكونه، لكن هذه الحالة من عدم الفهم هي بالأحرى نتيجة لجهل الوقائع الضمنية المتعلقة بالملفوظ. فداخل بناء المعنى، تثير العلامة اللسانية مجموعة من العناصر الخارجة عن اللغة لدرجة يمكن معها القول بأن نصاً ما هو من الناحية المعرفية أكثر اتساعاً من حدود مضمونه الدلالي، بمعنى أن شبكة إحالاته على العناصر الخارجة عن النص، تفوق في حجمها واتساعها الامتداد الدلالي العيني والمباشر للنص نفسه.

إن مجموع هذه القضايا والإشكاليات، هو ما يشكل المبحث الأساسي الذي يؤدي الخوض فيه إلى تبيين نمط اشتغال عملية الترجمة وملاحقة بعض مظاهر اكتمالها ودوافع تحقق فعلها اللغوي والحضاري والإنساني، من حيث هو فعل مؤسَّس لشروط الثقافة الإنسانية في بعدها الكوني والواسع. ويبدو لي أن مقاربة الترجمة من زاوية إولية الفهم، تُعَدُّ بإمكانية الانفتاح على طاقم العمليات الذهنية المترامنة التي تشغل بشكل ضمني وجدلي أثناء استرسال النشاط التَرْجُمِيّ (فك الترميز، التفسير، التأويل، إعادة الترميز وانتهاءً بتحقيق فعل التواصل).

وبالإضافة إلى ذلك، تنفتح هذه المقاربة المذكورة على بعد آخر، لأنها تشكل مدخلاً أساسياً لتناول ما يمكن اعتباره حاسماً في اكتمال سيرورة الترجمة، ونقصد به محور التأويل ومحور التواصل. وذلك لأن الدراسات التي تناولت موضوع الترجمة هي دراسات كثيرة ومن الصعب حصرها. لكن الدراسات التي تناولت الترجمة من حيث بعدها التأويلي أو بعدها التواصلية ليست كثيرة، على الأقل على مستوى الوطن العربي.

2- الترجمة والتأويل

يعرف "بول ريكور" التأويل بأنه فن نقل النصوص إلى سياق مختلف عن السياق الذي صدرت عنه، وذلك بهدف استجلاء أبعاد جديدة من الواقع. ويمكن القول إن التأويل يطرح نفسه في كل مرة يكون فيها ترميز الرسالة غير واضح بما يكفي، أو يكون قابلاً لقراءات متعددة تتباين من حيث تعاملها مع مضمون الرسالة على مستوى معانيها القائمة أو الممكنة.

وعليه، فإن التأويل تستدعيه عمليا مشكلة سوء الفهم أو عدمه، كما يقول "بول ريكور". وذلك لأن معنى نص ما -عندما يفصل عن صاحبه- يصبح غير متطابق مع قصد هذا الأخير منه. وهذا يعني أن ما أراد الكاتب قوله من جهة، وما يقصد إليه النص من جهة أخرى، يكفان عن التوحد في معنى واحد، ويفتحان بالتالي على قراءتين متميزتين. وهكذا يفقد النص - الذي أصبح "يتيما" حسب تعبير أفلاطون في محاوره "فيدر"- المدافع عنه، أي صاحبه، ويواجه وحيدا مغامرة التلقي ومغامرة القراءة، كما يقول "بول ريكور".

وبشكل عام، يمكن القول إن اشتغال عنصر التأويل في الترجمة، يسعى في أوسع معانيه لأن ينقل إلى وضعية ثقافية معينة، ما هو أساسي أكثر في النصوص التي نترجمها، وذلك باعتبار ما تحمله وما تنطوي عليه من تفاعلات مع الوضعية الثقافية/الأم التي أنتجتها. وهذا يعني أن التأويل يسعى ما أمكن، إلى اختزال حالات عدم الفهم التي تنتجها المسافة الثقافية بين الثقافة التي نترجم منها وتلك التي نترجم إليها.

والنفسير باعتباره إوالية متميزة من إوالات التأويل، يأخذ على عاتقه ترجمة معنى من سياق ثقافي إلى آخر حسب افتراض قاعدة تعادل المعنى. وإعادة بناء المعنى عبر تشغيل عنصر التأويل هو بمثابة الدفع بالمعنى إلى أفق آخر منفتح، أي نقل وتحويل هذا المعنى إلى دلالة قابلة للقراءة والفهم والتوظيف في الثقافة المستقبلية، وذلك بالرغم من المسافة الثقافية الفاصلة بين الثقافة المرسل والمرسل إليها.

إن معنى هذا أن المترجم يتحول -أثناء عملية الترجمة وسيرورتها اللغوية والذهنية والسيكولوجية- إلى مُؤَوِّل. لأنه يشتغل ضمن ذلك الحيز الذي ترسمه علاقة النص/السياق. ويبدو أن النص بقدر ما يكون منفتحاً على الشروط الثقافية التي أنتجته داخل فضائه الثقافي الأم، بقدر ما يكون متمنعا و -إلى حد ما- منعلقا في وجه الثقافة التي تستقبله. وذلك ليس فقط عبر لغته، بل وكذلك عبر كل فسيفساء بنائه المشبع بقيم ثقافية وحضارية وإنسانية مغايرة ومختلفة. وبمعنى أكثر وضوحا، إن لجوء المترجم للتأويل تمليه الرغبة في اختراق المسافة الثقافية الفاصلة بين الأنا والآخر، أي الرغبة في تحقيق نوع من المصالحة بين سنن ثقافيتين متميزتين ومتغايرتين، وذلك عبر توفير شروط فهم مستساغ مقبول ومرص ومتبادل. لأن المسافة الثقافية -كما يقول بول ريكور- ليست فقط هوة ينبغي تجاوزها، بل هي أيضا مسافة بسيطة يجب قطعها بسلام.

لكن لجوء المترجم إلى التأويل، تمليه أيضا طبيعة التعامل مع اللغة، على اعتبار أن هذه اللغة ليست ترميزا في درجة الصفر، بل هي مشبعة بقيم دلالية مضافة ومشرعة على امتداد سابق ولاحق عالمها الحضاري والثقافي الناظم الذي تنطق باسمه وتعتبر عنه.

إن علاقة النص/السياق التي تحدثنا عنها أعلاه، تفترض أن معنى نص ما يمكن أن يفصل عن سياقه أي أن يتحرر من سياقه الأصلي، ليندرج من جديد في وضعية ثقافية جديدة ومختلفة، مع الاحتفاظ بهوية دلالية معلنة ومزعومة. ومن هنا تصبح مَهْمَةُ التأويل هي الاقتراب من هذه الهوية الدلالية عبر فصل النص عن سياقه من جهة، وإدراجه في سياق آخر من جهة أخرى. واحتضان الترجمة لهذه العملية هو بمثابة شكل من أشكال تحققها واكتمالها.

لكن ما هي الحدود التي ينبغي أن تشرط وتحد لجوء المترجم إلى التأويل؟

إن لحظة التأويل -كما يقول بول ريكور- هي فعل التفكير الذي من خلاله يواجه عالم النص ما نسميه اصطلاحا: "الواقع"، وذلك بهدف إعادة وصفه. لكن هذه المواجهة التي تعتمد على التأويل، يمكن أن تصل إلى مشارف إنكار أو تشويه أو تغيير هذا "الواقع"، أي واقع النص، أو بكلمة أصح المعنى المقصود من النص. وبذلك يجد المترجم نفسه ملزما بالتعامل بحذر مع التأويل، على اعتبار أن هذا التعامل ينبغي أن يكون محدودا بحدود الفضاء الدلالي للنص المترجم ومنطوق مضمونه، وإلا أصبحت الترجمة مجازفة وتجنبا بدل أن تكون مثاقفة.

نظرة تاريخية :

نتيجة للتقدم الكبير الذي يشهده مجال نظم وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الوقت الحاضر حتى أن العلماء ورجال الإدارة والاقتصاد وغيرهم أطلقوا على القرن القادم - القرن الحادي والعشرين - اسم ((عصر المعلومات)) نتيجة لما تقوم به المعلومات من دور كبير ومؤثر في صنع القرار السياسي والاقتصادي والعسكري وغيره , على الرغم من أن كل عصر مضى أو سيأتي هو ((عصر معلومات)) وأن المعلومات موجودة في كل عصر , إلا أن ما يميز عصرنا الحاضر هو طرق نقل واستخدام والحصول على المعلومات المتمثلة في ما يطلق عليه بنظم

وتكنولوجيا المعلومات وهي ما كان غائبا في العصور السابقة .

وحيث أن الانتاج الفكري في هذا المجال - مجال نظم وشبكات وتكنولوجيا المعلومات

والاتصالات - هو في معظمه ان لم يكن كله باللغات الأجنبية , خصوصا

الانجليزية , والقاريء العربي سواء كان طالبا أو مدرسا أو من أي فئة من الفئات التي لها

علاقة بالتعامل مع مجال المعلومات هو في حاجة الى التعرف على المصطلحات

الأجنبية في هذا المجال حتى يتسنى له فهم ما يدرسه من نصوص أو ما يقوم به من متابعة

للأحداث والمستجدات التي ترى النور في هذا الميدان الهام الذي يجب أن نأخذ به - نحن العرب

والمسلمين - حتى نلحق بركب حضارة هذا العصر ونستطيع التعامل معها بكل ثقة.

كيفية توظيف هذه العمليات عند ترجمة النصوص التقنية :

ليس من الضروري الإلحاح على أهمية ترجمة النصوص التقنية والعلمية في مجتمع يأخذ فيه التقدم التكنولوجي سرعة كبيرة جدا ، ويشكل التواصل والاعلام فيه المادة الخام للصناعة . إن المترجم العملي والتقني ليس استثناء ، وفي هذه الحالة فإن معلوماته الخاصة تتعلق بال تخصصات العلمية والتثنية المختلفة ، وحاليا فإن هذا النوع من الترجمة يحتل المراتب الأولى في السوق المهني من حيث عدد النصوص المترجمة ، وهذا راجع بالأساس إلى الأهمية المتزايدة لتبادل المعلومات في المجال العلمي والتسويق العالمي للمنتجات والآلات ، مما يتطلب إنجاز مجموعة من الشروط القانونية التي تتضمن ترجمة الوثائق في المجال التقني . ويمكننا أن ندخل في مجال التخصص كل في ذلك التنوع في ترجمة الذي يتطلب من المترجم مجموعة من المعارف الخاصة . ومن هذا المنظور ، وفي الواقع ، فكل ترجمة تصبح متخصصة ، ذلك أنها تدخل معلومات معينة . وعلى كل حال ، فإن النصوص المتخصصة تتميز أساسا باستعمال ما يسمى

" لغات التخصص " والتي تحدد خمسة مستويات من المهارات التي يجب أن يتمكن منها المترجم المحترف :

معلومات حول المجال الموضوعاتي .

امتلاك المصطلحات الخاصة .

القدرة على الاستنتاج المنطقي .

التعرف على أنواع النص وأجناسه .

القدرة على اكتساب الوثائق .

وعند ترجمة النصوص التقنية والعملية يجب على المترجم أن يأخذ في عين الاعتبار جميع العمليات الذهنية التي أشرنا إليها سابقاً كفهم النصوص التقنية والعلمية ويتعلق الأمر بالفهم من المستوى السلبي خاصة بحيث لا يجب أن يكونوا مهندسين قادرين على بناء الجسور بل ان يكونوا مترجمين يحتاجون فقط إلى فهم كيف تبنى الجسور لكي يكونوا قادرين على ترجمة ذلك إلى اللغة الأخرى وأن يكون قادرا على فهم مصطلحات الانطلاق واستخدام مصطلحات الوصول وبالخصوص أن يكونوا قادرين على تأويلها وأن يكونوا قادرين على الاستنتاج بطريقة منطقية فيما يتعلق بهذه النصوص .

ومن اللازم ، أن نرسم ملامح حل يركز على مفهوم الاستيعاب، ويتمثل ذلك في:

1 - أن الهوة الفاصلة بين لغتين مختلفتين، وبغض النظر عن طبيعة تبايناتها، يمكن ردمها أو تقليصها عبر إقامة طرائق أو وسائل يتمكن بواسطتها المتمرنون على فن الترجمة أن يصبحوا بمثابة

2 - ينبغي إخضاع هؤلاء المترجمين لأكبر عدد ممكن من التمرينات النظرية والعملية، وجعلهم قادرين على التخاطب، لأن التخاطب في فن الترجمة يعني استئناس المترجمين بالمعاني اللغوية المتضمنة في اللغتين معا. كما أن التخاطب يمكن أن يسهل ويعجل عملية الاستيعاب.

3 - ما دام المتمرنون على فن الترجمة ليس لديهم نظرية مخصصة وجاهزة ومعتمدة، فالبدل إذن هو تمرينهم وتمريسهم كي يصبحوا متمكنين وقادرين على التمييز اللغوي. والتمييز اللغوي يعني التفريق والتوجيه والفصل وإدراك أو عدم إدراك وجه الاختلاف. وبالإمكان صقل حواس المتمرن لتصبح قادرة على التمييز، وذلك بالاشتغال على أكبر عدد من التمرينات، وبحثهم على القيام بمقارنة ومقابلة نسخ مترجمة لكنها تعتبر ناقصة، وجعلهم يستحضرون رد فعل المتلقي

في اللغة-الهدف مقارنة بالمتلقي في اللغة-المصدر. ولا يستطيع المتمرنون التمييز ما لم يتم الزج بهم في تمارين كثيرة وذات طابع لغوي قابل للتمييز.

4 - ينبغي تلقين المتمرنين كيفية إتقان فن "البناء"، ذلك لأن فهم جملة ما في اللغة المصدر، أثناء عملية الترجمة شيء، وبناء معناها المشتق بواسطة الرموز اللسانية للغة-الهدف شيء آخر. إن الاقتصاد على فهم جملة ما في اللغة-المصدر، لا يضمن إيجاد بنية متماسكة ومبنية بناء جيداً في اللغة-الهدف. ورغم صحة كون المترجمين يحتاجون إلى مفهومة بنيات اللغة-المصدر، فإن الإخفاق في هذا المسعى، قد يؤدي، لا محالة، إلى ضعف في عملية البناء، بل وحتى في تمثيل المعنى المشتق من اللغة-الهدف. من اللازم التنصيص على أن تكوين المتمرنين ينبغي أن يهتم بكيفية بناء خلاصة بعض الإدراكات الفكرية التي تم الحصول عليها، عبر الحواس أو العقل، بناء لغوي. ومن شأن هذا النوع من التكوين، الرفع من قدرة المتمرن على التفكير التجريدي، أي الرفع من قوة تفكيره المنطقي (ألفيرسن، 1969).

وختاماً، إذا كانت الترجمة، في جوهرها، نشاطاً ذهنياً، فإن ذلك يتطلب من المتمرنين عليها أن يملكو نصيباً كبيراً من الفطنة اللغوية. يحتاج المترجم إلى معرفة الكيفية التي تتعالق بها الرموز اللغوية الموجودة وتتنظم وفقاً لقواعد أهل اللغة-الهدف. ويبرز البناء اللغوي، القائم على اعتبارات فلسفية وسيكولوجية باعتباره حصيلة للإدراك الفكري وللتفكير في الأشياء والمعاني التي اشتقت عن طريق الحواس.

ويمكن جعل إتقان الترجمة أمراً ممكناً، إذا ما تم تشذيب التنوعات اللسانية لدى المرء. لكن ما هو ألزم، هو ضرورة تخفيف مدرسي الترجمة من اعتمادهم على ما يسمى "نظرية الترجمة"، والشروع في تلقين طلبتهم كيف يكونون قادرين، لغويًا، على الاستيعاب والبناء وإبداع المفاهيم والإدراك والتفسير والمعرفة والقدرة على التخاطب إلى حد كبير

الترجمة الإلكترونية .. آفاق الحاضر والمستقبل:

هل دخلت الترجمة البشرية مرحلة التكتف القسري والانكفاء المهمّش أمام اكتساح الآلة؟ وهل نستطيع أن نركن إلى الترجمة الإلكترونية ونثق بنتائجها وثوقاً كبيراً فنستغني عن تدخل العنصر الإنساني المميز؟ ما هي الحدود والامكانيات والآفاق؟ الترجمة الآلية أو الإلكترونية هي ترجمة مُحوسَّبة، تستعمل الحاسوب بوصفه الجهاز المركزي لمبتكرات التقانة المعلوماتية التواصلية اللحظية المتنامية، وتؤمن قدراً هائلاً من الانتقال شبه الفوري من لغة تسمى لغة الأصل إلى لغة تسمى لغة الهدف، دون تدخل بشري. فمنذ أن اخترع الحاسوب في الأربعينات من القرن الماضي، بدأ البحث يجري بانتظام حول سبل استخدامه أو الاستفادة من مختلف وجوه تطبيقاته، في مجال الترجمة، بحيث يمكن القول إن نظم الترجمة الآلية قد شرع في رسم تصوُّرها وإطار تطوُّرها منذ أكثر من 55 سنة نشوء الترجمة الإلكترونية وتطوُّرها :

في العام 1949، على وجه التحديد، أدلى وارن ويفر نائب رئيس مؤسسة روكفلر الأميركية بتصريح رسمي حول الترجمة بواسطة الحاسوب، نُشر في كتيب وُزِعَ على الجهات العلمية في الولايات المتحدة. وما لبثت أن أعقبته دراسات وأبحاث تولتها مراكز مرموقة من مثل معهد MIT (ماساتشوستس للتكنولوجيا)، كما عقد المؤتمر الأول للترجمة الآلية First

on machine Translation Conference عام 2591، الذي نجم عنه تشكيل لجنة عمل في جامعة جورجيتاون مهمتها اجراء أول تجربة عملية تضع مبدأ الترجمة الآلية موضع التنفيذ. وفي عام 1954 أقيمت التجربة وعرضت، ولكنها كانت بالطبع بدائية بل جينية. وبعد عشرة أعوام (1964)، شكلت اللجنة الاستشارية لمعالجة اللغات آليا Automated Language Advisory Committee Processing في رحاب الأكاديمية الوطنية الأميركية للعلوم Academy of Sciences American National لدراسة مدى الحاجة إلى هذا النوع اللابشري من الترجمة وجواء الاقتصادية، وطلعت اللجنة بتقرير سلبي اللهجة، سوداوي التوقعات، الأمر الذي ألقى ظلالاً قاتمة على الفكرة، لا سيما بعد أن كانت وكالة الاستخبارات الأميركية CIA قد أنفقت قرابة العشرين مليون دولار لتغطية أبحاث مماثلة دونما فائدة تذكر. على أن الثمانينات أعادت الحياة إلى المشروع، وبخاصة لدى بروز اهتمام كبير من قبل القطاع الخاص في اليابان والولايات المتحدة وفرنسا وكندا، فضلاً عن اهتمام حكومي في الاتحاد السوفياتي السابق.

ومع نشوء علم الألسنيات الحاسوبية أو المحوسبة Computational Linguistics منذ قرابة العشرين عاماً، انتقل التعامل مع الترجمة الآلية من الأسلوب المباشر الذي يكتفي بالاعتماد على تحليل بسيط للعبارات مبني على القواميس الثنائية اللغة، إلى الأسلوب غير المباشر أو التجريدي حيث يجري تحليل النص الأصلي بلغته المصدر توصلاً إلى تجريد المعاني أو تفنيت النص وفقاً للتحليل (أو التركيب) الصرفي morphology، والتحليل النحوي (أو تركيب العبارة) syntax، والتحليل المعنوي (أو الغموض التعبيري) semantics، بحيث يزال كل التباس محتمل ويصبح في الإمكان القيام بعملية استيلاء متناسق في لغة هدف واحدة أو أكثر.

ويسعى الأسلوب غير المباشر إلى أن يكون لغة وسيطة كأداة قياسية مجردة، متحرراً بواسطتها من الارتباط الكلي بأية لغة، فتصبح هذه اللغة القياسية الوسيطة Interlingua مجاله الرحب وصلة وصله بين سائر اللغات. وهذا يعني، عملياً، أن الترجمة تجري على دفعتين: أولاً من اللغة الأصل إلى اللغة الوسيطة، ومن ثم من اللغة الوسيطة إلى اللغة الهدف، أو على ثلاث دفعات: تجريد معاني النص الأصلي، نقل Transfer التجريد المعنوي إلى مماثل له في اللغة الهدف، صياغة النص الأخير باللغة المطلوبة.

أما مؤدى ذلك، في سياق التطور العالمي، فهو أنه حصل ابتكار للغة قياسية تجريدية عالمية يحال إليها كل نص يُطلب ترجمته مهما كانت لغة المصدر ومهما كانت لغة الهدف أيضاً، وذلك بمقدار ما تعتمد هذه الانترلينغوا على قواعد لغوية ثابتة ومبادئ معجمية عامة بصفة تجريدية رفيعة تمكنها من استيعاب الفروق والتباينات بين مختلف اللغات وتجاوز خصوصياتها الصرفية والنحوية. ولا ريب أن هذه اللغة ستلعب دور اللغة المركزية وستسهم في بلورة عولمة لغوية فائقة.

مراحلها وهندستها :

تمر الترجمة الإلكترونية بمراحل أساسية تشمل:

- 1 - تحليل النص الأصلي أو تجريده: صرفياً، وتركيبياً.
- 2 - نقله إلى اللغة المطلوبة أو الوسيطة: لفظياً، وتركيبياً.
- 3 - استيلاءه في لغة الهدف: نحويًا، وصرفياً، ودلاليًا.

وهكذا نشأت تقانة خاصة هي تكنولوجيا اللغة Language Technology كمصدر أولي لتكنولوجيا الترجمة Translation Technology، تبنى على قواعد هندسية ومبادئ لغوية باتت تعرف باسم هندسة اللغة Language Engineering هدفها الارتقاء بالترجمة الآلية أو الالكترونية إلى أعلى مستوى. وفي هذا السبيل، تتوسل تكنولوجيا اللغة علوماً لغوية، ألسنية ومعجمية Linguistics and Lexicography، فضلاً عن علوم آلية تطبيقية كعلم اللسانيات الحاسوبية، وعلم المعجمات الحاسوبية أو المَحْوسَبَة Computational Lexicography،

والمدونات الألسنية أو الذخائر Corpus Linguistics، واللسانيات الاحصائية Statistical Linguistics فتداخلت بذلك علوم الحاسوب بعلوم اللغة بهدف تطبيق تقانة المعلومات كمبيوترياً وإسقاطها على قواعد الصرف والنحو والدلالة والمعجم، إلى درجة بات في مقدورنا التحدث عن تقانة اللغة أو تكنولوجيا اللغة Language Technology وتسعى هذه الأخيرة إلى رسم صيغة تنفيذية لعلوم الألسنيات والمعجمات والمدونات الحاسوبية من خلال البرمجيات والأجهزة العملية المختلفة ومنها: الترجمة الآلية، القواميس الإلكترونية، الموسوعات الإلكترونية، بنوك المصطلحات، قواعد البيانات المعجمية، الفهم الآلي للكلام، التدقيق الهجائي والنحوي آلياً، الفهرسة الآلية، الخ، وهي جميعها فروع معلوماتية من علم هندسة الترجمة الذي يعتبر بدوره أحد تشعبات الشجرة الكبرى المسماة هندسة المعرفة.

الخريطة التكنولوجية للترجمة الإلكترونية :

ولكي لا يبدو الموضوع عويصاً، يمكننا تقريب الصورة بالقول إن الخريطة التكنولوجية تشمل صيغاً مختلفة تستعين بالحاسوب لغرض الترجمة Computer Aided Translation وتضم بالإجمال:

1 - نظاماً شمولية للترجمة الآلية.

2 - نظاماً مساعدة للمترجم البشري، بما في ذلك البرمجيات المعجمية والبنوك المصطلحية.

أما النظم المساعدة أو الداعمة للمترجم البشري فتتطوي على أدوات برمجية، من لغوية ومعجمية ومصطلحية، تتركز حول ما يلي:

(1) بنوك المصطلحات الآلية: وهي عبارة عن قاعدة (قواعد) بيانات أو معطيات data base(s) تخزن المصطلحات وتعالجها وتسترجعها بصور متعددة، وتتسم بسهولة البحث، وإمكانية إجراء التقابل والمقارنة والتمييز بغية اختيار المقابل الأنسب، مع توفير معلومات مختلفة عن تاريخ المصطلح وسيرورته ودرجة اعتماديته ومرادفاته، وإمكانية القيام باضافات سريعة أو إجراء تعديلات فورية أو إدخال تحديثات مباشرة عليها على نحو أسرع من القاموس الورقي المعروف، فضلاً عن إمكانية تنسيق مفردات معينة في حقل مطلوب بأسرع وقت حسب رغبة المترجم.

وثمة اليوم العديد من بنوك المصطلحات في دول أميركا وأوروبا، منها بنك لكسيس Lexis، وبنك تيم Team، وبنك تيرميوم Tennium، وبنك يوروديكوتوم Eurodicautom، وبنك تيرمدوك Termdok، وهي لاتزال تشهد تنامياً متعاضماً، من حيث العدد كما الفعلية.

أما أهمها في الوطن العربي فهي البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم) في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض، وبنك معربي للمصطلحات التابع لمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، وبنك قمم التابع لمعهد المقاييس الصناعية في تونس، وبنك المصطلحات التابع لمجمع اللغة العربية في عمان الأردن.

(2) القواميس الإلكترونية: وتتأى في مقدمتها القواميس الثنائية اللغة، والمتعددة اللغات (بالطبع فضلاً عن القواميس الأحادية)، سواء كانت صامتة أم ناطقة، محمولة أم في شكل برمجيات مخزنة على أقراص مدمجة أو ليزيرية، جامدة أم قابلة لإضافة رقائغ لغوية تحمل قواميس أو موسوعات إضافية.

وقد كان أولها، ولا يزال في طليعتها، قاموس المورد الإلكتروني على أقراص مدمجة أو ليزيرية، والمورد الناطق Bookman الصادر بالتعاون بين دار العلم للملايين والشركة الدولية في السعودية وكلية شركة فرانكلين العالمية لإصدار القواميس الإلكترونية، ويحتوي على قاموس المورد إنكليزي - عربي تأليف والذي المغفور له الأستاذ منير البعلبكي، والمورد عربي - إنكليزي تأليف كاتب هذا البحث.

(3) قواعد البيانات: وهي توفر معطيات شاملة عن القواميس الورقية وسائر الكتب والمراجع المطبوعة ذات الصلة، وتخصصها، وكيفية استخدامها، ولمحة عن الكتب المترجمة،

والنصوص المترجمة، ودور النشر، ومعاهد الترجمة، ومراكز الأبحاث والدراسات والمترجمين الخ.

(4) ذاكرات الترجمة Translation Memories: وهي نظم تُمكن من الاحتفاظ بنتائج الترجمة لإعادة استخدامها في نصوص مماثلة أو مشابهة، وبخاصة كلما كانت النصوص مكررة أو نمطية، ككراريس الشركات وكتالوجاتها، وتقارير المؤسسات، ومستندات المنظمات، بحيث تؤدي دور المحفوظات أو الأرشفة الجاهز الذي يؤمن حلاً لترجمة مدروسة. وتسمح الذاكرة بتخزين نصوص أصلية مقابل نصوص ترجماتها واسترجاعها، فنظراً لسهولة مقابلة على الشاشة يستعرضها الباحث المترجم ويقارنها، وله أن يبنائها أو يُعدلها. وهذه العملية تساعد على بناء مجموعات كبيرة من الترجمات الموثوقة والمتعمدة بفضل تميزها بالدقة والجودة المجربتين.

(5) أدوات التحليل والتحرير: وهي برمجيات تنسق الكلمات وتدقق الوثائق وتضبط الأسلوب، ومنها: منسق النصوص word processor، والمدقق الإملائي spell checker، والمصحح النحوي checker grammar، والمحلل الصرفي، والمحلل الدلالي، والمُشكِّل الإلكتروني.

(6) برمجيات التعرف على الكلام Speech Recognition: أي ترجمة الخطاب البشري المنطوق ترجمة فورية، غير أن ترجمة الكلام، وإن تكن تستقطب اليوم استثمارات مالية كبرى واهتماماً عملياً فائقاً، فإنه من غير المتوقع أن تحقق اختراقات ممتازة في القريب المنظور، وتجدر الإشارة إلى أن اليابان تركز جهودها في هذه الفترة على تطوير أنظمة للترجمة الآلية للمخابرات الهاتفية البسيطة في مجال الاستفسار السياحي والحجز الفندقي وتسجيل الأسماء في الندوات والمؤتمرات. وتعمل ألمانيا كذلك على إعداد برامج تترجم الكلام البشري فوراً، يتوقع أن تتبلور صيغتها العملية خلال عشر سنوات.

(7) برمجيات توطين النصوص: أي تكييف النص من الوجهة الثقافية والحضارية، وحتى لجهة اللهجة المحلية المطلوبة، بحيث يوائم البيئة الخاصة بلغة الهدف.

وهكذا تتضافر جميع هذه النظم المساعدة لتشكيل روافد داعمة تصب معاً في خدمة نهر الترجمة الآلية الشمولي الكبير. وجدير بالملاحظة هنا، أن هذه الوسائل المساعدة لا تسهل عملية الترجمة كغرض نهائي فحسب، بل إنها تُعين على توحيد قواعدها أو تقييسها standardization، ومعايرة منهجياتها أو تقويمها calibration, gauging، وكذلك بمقدار ما ترسخ مبادئ التناسق التماثلي والتوحد القياسي والتطوير الاتساق لغوياً وبرامجياً، طالما بقيت عملية الترجمة الإلكترونية رمزاً لقمة التحديات التكنولوجية بوصفها إحدى أصعب وأدق العمليات الإلكترونية التي يفترض بها أن تتم قدر المستطاع دون جهد بشري. فما هي الصعوبات القائمة، وما هي التقنيات المتوافرة؟

أهمية اللغة :

في الأصل كانت اللغة، وهكذا ستبقى. إنها المركبة، الوسيلة، الجهاز، الأداة، وهي في كل تلك الحالات تستحق صفة الأولى. فضائياً وأرضياً (على الصعيد الإعلامي اللحظي)، وتواصلية (في كل مضمار للنشاط الإنساني)، وإلكترونية (في كل البرمجيات والتقنيات)، لا يمكن أن نرسي أي أساس بدون اللغة، فنشاط من دون لغة هو نشاط بلا أساس.

وتتعاظم أهمية اللغة بتعاظم الحاجة إلى تبادل الفهم والتخاطب بين الشعوب المتحدثة بلغات مختلفة، وبالتالي بتعاظم الحاجة، وعلى نحو مستمر، إلى ترجمة ونقل من لغة إلى أخرى.

وكلما تنامت النصوص المفترض ترجمتها - وهي في حقيقة الأمر تتنامى على نحو يفوق التصور - اشتدت الحاجة إلى ترجمة إلكترونية، ذلك أن استحالة تأمين طاقات بشرية من جحافل من المترجمين المؤهلين والعاملين على مدار الساعة وبالسعة الإنتاجية المرغوب فيها، إنما تُحتم اللجوء إلى ترجمة مُحوسَّبة تفوق سرعتها البشرية وطاقاتها البشرية.

صحيح أن لغة النشر العلمي والاستعمال التكنولوجي الأولى في عالم اليوم هي الإنجليزية وبأشواط بعيدة عن تالياتها، وصحيح أن العولمة تكاد تجعل من هذه القرية الإلكترونية التي نعيش فيها منزلاً متعدد الغرف لشعوب متمازجة وأفكار متماوجة، لكن الحاجة إلى الترجمة لا تعرف حدوداً، بل نجدها تتزايد إحصائياً على قاعدة ازدياد الحاجة إلى التفاهم بين الشعوب لعدم قدرة أي لغة على فرض ذاتها على جميع المجتمعات في مختلف المجالات مهما بلغت سطوتها. واللغة، من حيث كونها مادة الترجمة وروحها وإشكالياتها ومبرر وجودها، إنما تجعل الترجمة موضوعاً ديناميكياً ومتشعباً ومعقداً بقدر ما هي كذلك، وهنا حدث ولا حرج عن ديناميكية كل لغة وتشعبها وتعقدها. ويقال، في هذا الصدد، إن اللغة كالثوب الممزق، أو كالغور الذي لا قرار له، أو كالزئبق الحرون، عصية على الالتقاط، عميقة الغور، سهلة التفكك والانزلاق، ولعل كل ذلك هو ما حدا بالتكنولوجيا إلى الجنوح صوب الاتجاه الهندسي والتجريدي للضبط والاستخلاص والتععيد وفقاً لتقانات مُقَوَّنة كما رأينا.

إذا كانت تلك حالة اللغة عموماً وفي المطلق، فما هي وضعية اللغة العربية على الخصوص في سياق الترجمة الإلكترونية؟

تمتاز العربية بأقصى درجات الغنى اللغوي، والثراء التركيبي، والتنوع الالسنّي، والتعدد المصطلحي، فضلاً عن فضاء بلاغي رحيب، ومرونة نحوية رهيبة، وأسلوبية تعبيرية منمقة، وتشعب يكاد يكون غير محدود في ظلال المعاني وأوجه الدلالات. ويصعب تصوّر فهم بنية اللغة العربية من غير تشكيل أو تحريك. فكيف نميّز بين مولد ومُولَد؟ وكيف نفرق بين ليومٍ واجِدٍ وليومٍ واجِدٌ دون تشكيل؟ أو بين عِلْمٍ وعِلْمٌ وعِلْمٌ وعِلْمٌ؟ أو بين تَصَدَّرَ وتَصَدَّرُ وتُصَدِّرُ وتُصَدِّرُ وتَصَدَّرُ وتَصَدَّرُ؟ ولذا قيل إن العربية هي اللغة الوحيدة التي عليك أن تفهمها قبل أن تقرأها، في حين إن سائر اللغات تقرأها قبل أن تفهمها.

ألا يقتضي ذلك أن تُضَبَّط الكتابة العربية وتُحَرَّك كما ينبغي؟، لا سيّما وأن الكتابة العربية انتقلت من طور كانت فيه غير منقوطة فُتْقِطَتْ، ومن طور كانت فيه غير مشكولة فَشَكِلَتْ؟ أم ترانا نبغي العودة إلى الوراء ونسعى إلى أن نرجع القهقري؟

صحيح أن الكتابة العربية غير المشكولة وغير المهموزة وغير المشدودة تثير لبسا وغموضاً وصعوبات، ولكن البديهي أن كل ذلك هو جزء لا يتجزأ من حياتها وحركيتها بل وحيويتها بالذات. وإلا فما الفرق بين بَانَ وبَانٍ وبَانَ؟

إلكترونيّاً، تعاني برمجيات الترجمة الآلية العربية - وكما هو متوقع - من صعوبات شتى ناجمة إما عن خصوصية العربية أو عن عدم التوحّد القياسي في كتابتها، وفي مقدمتها الصعوبات التالية: كثرة المعاني، وتنوّع الظلال، وتشعب الدلالات للمفردة الواحدة، عدم توحيد المصطلحات أي الاشتراك اللفظي أو استعمال عشرات الكلمات للدلالة على اسم واحد أو معنى بعينه، كثرة الترادف، كون اللفظة الواحدة تحتل المعنى وضده في آن، شيوع الدلالة المجازية، وفرة الخصوصيات التعبيرية المحلية والقطرية، وفرة العبارات الاصطلاحية، وفرة المُحَسِّنَات البديعية والتفنّات البلاغية والتخريجات الجمالية، صعوبة كتابة العدد، التأنيث والتذكير، المثنى والجمع وجمع الجمع، إهمال كتابها عموماً للاستعمال المنضبط أو الواضح لوسائل الترقيم والترابط (الفاصلة والنقطة والشوْلة المنقوطة والجُمْل الاعتراضية) مما قد يثير التباساً في المعنى، تعدد أشكال الكتابة الإملائية (ديمقراطية، ديمقراطية، ديمقراطية - أكسجين، أكسجين، أكسجين - شئون، شؤون - جغرافيا، جغرافية).

إن كل ذلك لا يقلل من مكانة هذه اللغة العظيمة، غير أنه يطرح مشكلات آلية على الترجمة الإلكترونية. ومؤسف أن نلاحظ أن علينا أن نضيف إلى تلك المشكلات، الأخطاء اللغوية الفاضحة التي يرتكبها معدو بعض البرمجيات الإلكترونية، ونَحَرِّم للقواعد الصرفية والنحوية وحتى الدلالية، وإقلاهم المستمر لراحة نفس المسكين سيبويه. وحسبنا أن نذكر أن أحد نظم الترجمة الآلية يعطيك فعل الأمر من وقى على شكل وق بدلاً من ق، في حين يتخبط سواه في

فياقي اللحن والركاكة رغم ادعائه أن برنامجه - في عُرْفِه وعلى قدر معرفته - يتمتع بأقصى درجات الدقة والفصاحة.

الترجمة الإلكترونية العربية :

مهما يكن من أمر، فقد صدرت بعض برمجيات الترجمة الإلكترونية العربية، ولا سيما تلك التي تتولى النقل من الانجليزية إلى العربية وبالعكس، كبرنامج المترجم العربي (ومختصره الوافي) الذي يعمل على الحواسيب الشخصية ولكنه لا يقبل سوى الانجليزية البريطانية دون الأمريكية، ونظام أبتيك Aptek، وبرنامج الناقل العربي لشركة سيموس Cimos صاحبة نظام MLTS، ونظام عربترانز من شركة آراب نت Arab Net، وبرنامج النشر العربي Rapid Publish من شركة Knowledge View، وبرنامج شركة صخر (القارئ الآلي، سندباد، ناشر نت إلخ)، وتقوم هذه البرمجيات بتحليل التراكيب الصرفية والنحوية والدلالية للنص الانكليزي لتقدم نصاً مترجماً باللغة العربية بمعدل سرعة تتراوح بين 500 وألف كلمة في الدقيقة (30 إلى 60 ألف كلمة في الساعة). وقد لاقت قبولاً و/ أو استحساناً في مجال ترجمة النصوص التقنية ككتيبات الصيانة وكتالوجات الإرشادات وكراريس التعليمات للمستعمل وبيانات التعريف بالأدوية وما شابهها من نصوص منمطة منمجة.

غير أن جلّها يعاني من انخفاض مستوى الدقة، ولا يزال بالتالي في حاجة ماسة إلى تطوير وتحسين، وبخاصة على يد خبراء في الترجمة، وليس فقط في الهندسة كما يحصل عادة. وقد أطلعت شخصياً على عروض قَدَمَتها الشركات المنتجة للبرامج المذكورة، وحاولت خلالها بالطبع إظهار أقصى قدراتها وأفضل إمكاناتها، فلمست نقصاً هائلاً في الدقة المطلوبة. مثلاً : ترجمت عبارة صدر الاسلام أي بدايته ب : Chest of Islam أي ما بين العنق والبطن، وترجمت عبارة القرن الثالث للهجرة هكذا : Third century of migration، وعبارة المشتغل بهما هكذا : The worker by them were.

وفي الترجمة إلى العربية ترجمت If you require..., Do not hesitate to contact us هكذا: إذا أنتم تطلبون... لا تترددوا للاتصال بنا. وترجمت We are sure you will be pleased هكذا : نحن واثقون أنتم فرحون. وترجمت عبارة Our fabrics which are famous هكذا : أقمشتنا التي مشهورة. وترجمت عبارة To hear the good news هكذا : لسمع بالأخبار الجيدة.

وإذا أضفنا إلى ذلك كون معظم نصوصها غير مشكولة، فإننا لا ندري كيف تستطيع أن تترجم إنه كريم غير المشكولة فهل هي تعني الكرم كصفة، أم اسم علم كريم، أو تشبيهاً للشخص بالريم أي الغزال، وكيف ستتمكن من أن تترجم بعض العبارات ذات المعاني الملتبسة من مثل يقيني يقيني أي ثقتي تحميني أو اقتناعي يصونني، ناهيك ببعض الكلمات التي قد تكتب بطريقة صحيحة إملائياً ولكنها تكون خاطئة نحوياً، مثلاً : اجتمعَتْ بجماعة الموظفين.

ليس هذا الكلام تجنّياً على ما هو متوافر لدينا، فالحق يقال إن منتجي هذه البرامج هم مبدعون مبتكرون مقدمون يستحقون أعظم الشكر وأعطر الثناء. وإننا نعول كثيراً على بذلهم مزيداً من الجهود لإحراز نتائج أفضل. وقد حظيت معظم برامجهم بإعجاب وإطراء من عدد لا بأس به من المتخصصين حين عرضت في معارض عالمية، وبخاصة في جاينكس - دبي.

مستوى الدقة والتدخل البشري :

هذا، ولا يتخيلن أحد أن مستوى الدقة في أنجح النظم الترجمية العالمية يتجاوز الثمانين أو التسعين بالمئة. وهذا يعني أنه ما من ترجمة آلية إلا وهي في حاجة إلى تنقيح أو تهذيب أو تحرير أي مراجعة وإعادة نظر على يد مترجم متخصص. إذاً، يبقى تدخل الانسان التنقيحي ضرورياً ما دامت الترجمة الإلكترونية غير تامة، وحتى لو بلغت 90 % من الدقة. فيضطر

المترجم إلى مراجعة الترجمة الخام Raw translation وتنقيحها تنقيحاً لاحقاً Post-editing أي إدخال التصحيحات الضرورية عليها. لكن ثمة الكثير من المترجمين الذين يفضلون أن يقوموا بالترجمة بأنفسهم بصورة كاملة مباشرة عن الأصل دونما مساعدة من الآلة، بدلاً من أن ينخرطوا في مراجعة نص مترجم بصورة ناقصة أو مشوهة والعمل على تهذيبه وضبطه حسب الأصل.

وقد ورد في الكتيّب التفسيري لبرنامج عربترانز فقرة معبرة جاء فيها : إن هذا البرنامج ليس بديلاً عن المترجم الأديب الذي ينقل روح النص، فالترجمة التي يقدمها تبقى بحاجة إلى إجراء بعض التعديلات لمعالجة بعض الأخطاء اللغوية وللتأكد من المعاني. والحق أن كل الشركات تقول كلاماً مشابهاً وتحرص على التنبيه إلى ضرورة تدخل المترجم الإنسان للقيام بعملية المراجعة والتدقيق والتثبت من المعاني والمفردات.

مميزات الترجمة الإلكترونية :

من هنا، أؤكد أن أهمية الترجمة الآلية إنما تكمن في تفوقها على المترجم الإنسان من حيث السرعة وتقديم نصوص مترجمة طويلة ومسهبية بصورة شبه فورية، ولا سيما في موضوعات تخصصية وعلمية ومفعمة بالمصطلحات التقنية والفنية. بكلام آخر، تمتاز الترجمة الإلكترونية بقدرتها على تنكّب دور تواصل لحظوي للترجمة، وإن لم تكن مثالية الدقة. ولعل هذه السرعة هي التي تشفع لها عدم اكتمال دقتها حتى الآن. وإذا علمنا أن كثيراً من النصوص إنما ينبغي أن تنتقل فوراً إلى لغات معينة، وإلا أفقدها التأخر كثيراً من قيمها أو فائدتها أو الحاجة إليها، لأدركنا خطورة الدور الريادي للترجمة الإلكترونية. ومعلوم أن متوسط قدرة المترجم البشري لا تتجاوز 200 كلمة في الساعة في حين قد تصل قدرة الآلة إلى عشرات أضعافه، وطبعاً من غير توقف أو استراحة.

يضاف إلى السرعة الفائقة والحجم الهائل للإنتاج الترجمي الإلكتروني، إذا ما قورن بالترجمة البشرية، ميزة الاطراد والاتساق والتناسق، أي التوحد القياسي في ترجمة المصطلحات والمفردات والعبارات. وتبرز أهمية هذه الميزة في الأعمال التقنية والعلمية حيث يتكرر استعمال مصطلح ما أو مجموعة مصطلحات، وحين ينبغي أن يكون استعماله أو استعمالها واحداً موحداً على الدوام. وإذا علمنا أن الجزء الأكبر من وقت المترجم البشري يخصص للتنقيب عن المصطلح الدقيق المناسب ومراجعة القواميس الموثوقة والمعتمدة، لاتضح لنا أثر هذه الميزة الإلكترونية الرائعة. وتتجلى هذه الميزة أيضاً، أكثر ما تتجلى، في ترجمة النصوص الدقيقة الطويلة كالتقارير ووثائق الشركات ومعاهد الأبحاث، وسائر الملفات الكبيرة ومستندات تشغيل الآلات المعقدة التي قد تصل إلى آلاف الصفحات. ولذا، فإن أبرز مستعملي هذه الترجمة اليوم هم فئة الشركات المتعددة الجنسية والمصدرة لآلات ومعدات وأجهزة إلى مختلف دول العالم، والتي تحرص على الاتساق المتواصل في استخدام التسمية نفسها والألفاظ ذاتها في مختلف نصوصها، دون تعديل في الكتالوج الواحد ودون تحريف كلما أصدرت كتالوجاً جديداً لموديل جديد لأحد منتجاتها. وفي كل تلك الحالات تمتاز الآلة بالدقة والسرعة وعدم الكلال، وبإمكانية حفظ الجداول والبيانات والقوائم والرسوم والأشكال.

وهكذا كلما كان المطلوب هو الحصول على معلومات عاجلة، ومفهومة بصورة مبدئية، وبالسرعة القصوى، ودون أسلوبية بلاغية رشيقة، بل حتى مع ركاكة مكشوفة فإن الترجمة الآلية توفر حلاً رائعاً. والواقع أن ثمة حالات عديدة يفضل فيها المستعمل الحصول على أي ترجمة مهما كانت ركيكة أو رديئة على عدم الحصول على أي نص مترجم على الإطلاق. أما حين يكون المطلوب نصاً مثالياً ناجزاً، ومشهوداً له بأنه سليم نحوياً، بل وأنيق تعبيرياً، وأن يكون جاهزاً بصورة لا تفتقر للنشر والتداول، فإن الترجمة الآلية تظل في حاجة إلى لمسّات تدقيقية وتعديلية من عمل المترجم الخبير، ولا تعدو كونها -في هذه الحالة- مسوّدة أولية للترجمة. أي كلما كان النص المطلوب ترجمته أدبياً، كانت الحاجة إلى مترجم بشري أشدّ وأدعى.

ولعل أبهى مثال على ذلك هو نظام توم-ميتيو Taum-Meteo الكندي المخصص لترجمة تقارير الأرصاد الجوية وتوقعات حالة الطقس، فهذا النظام يعتبر الأدق في العالم، بل الوحيد الذي يقدم ترجمة آلية كاملة قد لا تحتاج إلى مراجعة بشرية. فهو يترجم أخبار الطقس من الانجليزية إلى الفرنسية وبالعكس ملبياً حاجة الثنائية اللغوية الرسمية في كندا، ويؤمن ترجمة ما لا يقل عن 20 ألف كلمة يومياً بمعدل دقة يلامس 97 % ، نظراً إلى كونه يتعاطى بمادة محصورة النطاق، واضحة الحدود، محددة التعابير، وهي تقارير الأحوال الجوية.

هذا، ولا بد من الإشارة إلى أن بعض الأنظمة تقدم حلاً يمكننا أن نصطلح على تسميته بـ أسلوب التكيف (أو التهيئة) قبل الإدخال، بمعنى أن على المستعمل أن يعدّ النص المطلوب ترجمته (قبل إدخاله إلى الآلة) إعداد يضبط مفرداته وتراكيبه وفقاً لانساق معينة بحيث يسهل على الآلة أن تؤمن له ترجمة آلية تكون أقرب ما يمكن إلى المراد.

وثمة مجال آخر تؤدي فيه الترجمة الآلية مهمتها المطلوبة ووظيفتها الطبيعية، وذلك حين تستخدم في سبيل تبادل المعلومات الأولية أو العامة على الإنترنت بما في ذلك البريد الإلكتروني والردشة وحتى صفحات الإنترنت والوب، حيث تنقل الترجمة الآلية المحتوى الأساسي للرسالة فوراً ولو بصورة سيئة بلاغياً. ولكنها تبدو وكأنها تؤدي دورها الأمثل والأشدّ التصاقاً بالواقع المقبول.

وقد بدأت بعض الشركات تؤمن خدمات ترجمة إلكترونية على شبكة الإنترنت وتلبي الطلب، وإن يكن محدوداً، عليها، ناهيك عن استعداد بعضها لإرسال نص منقح بشرياً. ومن أشهر هذه الشركات شركة بلجيكية اسمها لانت Lant التي كانت قد باشرت في أواخر عام 1997 بتقديم خدماتها الترجمة الآلية المتعددة اللغات في مجال البريد الإلكتروني، وصفحات شبكة الوب، وما يتبعها. وتوازيها شركة MTSU في سنغافورة التي تؤمن ترجمة آلية متعددة اللغات على الإنترنت، مصحوبة بتدقيق يتولاه خبراء في الترجمة. أما شركة كمبيوسرف CompuServe فقد دخلت حيز الترجمة الإلكترونية على خطوط الدردشة (الحوار، المحادثة) الإلكترونية Chat، متنافسة مع شركة غلوبالينك Global ink المتعاونة مع شركة يونيفرس Universe، والتي تنتج ما يسمى Power Translator، وسرعان ما تنامي الطلب على هذه الخدمة في صورة فاقت كل توقع، إلى درجة أن اعتراضات وشكاوى لا تحصى تتدفق على الشركة صاحبة الخدمة المذكورة فور أن يصاب موقعها بتوقف عابر أو عطل مؤقت. ولا بد أن نتوقع عما قريب دخول الشركات على خط التجارة الإلكترونية e-commerce لتأمين خدمة ترجمة آلية مباشرة.

بين الآلة والإنسان :

ويحلولي في هذا السياق ألا أنظر إلى العلاقة بين الآلة والإنسان على أنها علاقة تنافسية أو نزاعية، بل إنني أؤثر أن أعتبرها علاقة تفاعلية تكاملية. بديهي أن تتفوق الآلة المترجمة على الإنسان المترجم في العثور المباشر على المصطلح المناسب، وفي إنجاز مطوّلات بسرعة فائقة، لكنها تبقى حتى اليوم قاصرة عن تقديم أي نكهة إنشائية جذابة. بعبارة أخرى، لا نتصور الآن ولا حتى لمستقبل منظور نشوء احتكار إلكتروني للترجمة، ولا اندثاراً لمهمة المترجم الخبير، ولا حلاً للآلة محله، ولا حتى تشكيلها خطراً على رزقه وقوته، بل لا ريب أننا سنظل في أمس الحاجة إلى خبرته وأدبه وذوقه وأسلوبه ورهافته، وبخاصة في صياغة المادة الأدبية والقانونية والفلسفية والاجتماعية وسائر مواد الإنسانية. ولكن، وعلى الضفة المقابلة، فإن المترجم الخبير عجز وسيعجز عن مزاحمة الآلة ومضاهاة نتائجها الإلكترونية في حقول التخصص العلمي، والسرعة في العثور على المصطلح، والترجمة المبدئية على خطوط الإنترنت الإلكترونية، وذلك حتى لو شاء أن يكتفي بتقديم مسودات مترجمة من النوع الأولي أو الرديء.

زد على ذلك أن لجوء الشركات الكبرى إلى اعتماد الترجمة الإلكترونية له ما يبرره لجهة تحقيقها وفراً اقتصادياً ملحوظاً، إذ إن الأحجام الكبيرة للمستندات التي تضطر إلى ترجمتها تبرر التوظيف المالي الكبير الذي تقوم به هذه الشركات وبخاصة إذا ما بنت لنفسها قواعد بيانات لمصطلحاتها وقواميس تتابع تحديثها بصورة متواصلة لتضمن اتساق مفرداتها الخاصة التي تختلف عن مفردات أي جهة أخرى.

إن هذا الوفرة الإقتصادي يبقى متحققاً حتى لو استعانت الشركات الكبرى (التي يتطلب عملها إنتاج ترجمات غزيرة) بخبراء لتولي مهمة المراجعة والتنقيح، ذلك أن العملية الإلكترونية كاملة تبقى أقل كلفة من الاستخدام الكامل للمترجمين البشر. وقد عمد البعض من هذه الشركات إلى توليد لغة انجليزية خاصة بالشركة هي عبارة عن نظام لغوي معدّل يقتضي من بعض المحرّرين وضع مستنداتهم بالصيغة المعدّلة ووفقاً لمصطلحات هذا النظام وتراكيب جملته، بحيث تأتي نتائج الترجمة الإلكترونية أدق وأسلم وأقل لبساً. ويدخل ذلك ضمن ما بات يعرف بـ التحرير المسبق Pre-editing أو تجهيز النص، الذي سبق أن أشرنا إليه بأسلوب التكيف قبل الإدخال، أي عملية تحرير النص الأصلي وإعادة صياغته ليصبح جاهزاً لإدخاله إلى الحاسوب في أفضل شكل مناسب لبرنامج الترجمة الإلكترونية. وفضلاً عن ذلك، تتولى بعض أنظمة الترجمة الإلكترونية الضخمة مهمة ما يسمى بـ توطيّن النص المترجم، أي تكييفه مع بيئة المستعمل ومستنداته، كما أسلفنا. بديهي أن كلفة الترجمة البشرية تبقى أقل من كلفة الترجمة الإلكترونية إذا كان المطلوب ترجمة نص محدد، مهما كان موضوعه، إذ لن يكون حينئذ ثمة مبرر للإنفاق الموسّع على بناء القواميس الخاصة وتحديثها والقيام بالتحرير المسبق، ولن تبرز الحاجة إلى عمليات ترجمة متواصلة أو متكررة لنصوص مشابهة.

ميادين تخصّص وتفوّق :

لئن كان الحاسوب لا يعرف التذمّر من التكرار الممل، ولا الاجتهاد نتيجة غزارة الصفحات المطلوبة، ولا النسيان في توحيد الألفاظ المصطلحة، ولا السهو عن النمطية المرجوة في ترتيب المفردات على نحو مضبوط تقنياً، فإنه لا يستطيع إقناعنا بالحلول محل الإنسان البارِع في الترجمة اللغوية والفكرية ذات المستوى المرموق والذي لا يرضى بتقديم نص أقل من المستوى الصالح للنشر. ويسري هذا الحكم بصفة خاصة على الموضوعات الدقيقة كالعقود والاتفاقات والالتزامات القانونية وسائر المراسلات والمخاطبات الحرجة، وذلك على العكس من المراسلات والمحادثات على خط البريد الإلكتروني وصفحات الإنترنت حيث لا مجال لمناقشة الترجمة الإلكترونية علماً، ومؤدى ذلك أنه لا الآلة تستطيع أن تمتاز بمميزات الإنسان المحنك والمرهف والضيع بالمعاني المجازية والتراكيب المعقدة، ولا هو يستطيع أن يبرزها في التذكر والصبر وسرد المصطلحات الأحادية المعنى وما إلى ذلك. وعليه، فإذا كنا نطمئن المترجم التقليدي المحترف بأن لا بديل مؤات له، ليس في مجال ابداعه اللغوي الفذ وأسلوبه التعبيري المميز فحسب، بل أيضاً في مجال التخاطب الكلامي بين الناس حيث لا مناص من دور يُوّديه المترجم المحترف بين المفاوضين من رجال الأعمال أو بين المتحاورين من أهل الدبلوماسية وأصحاب المكالمات الهاتفية (لصعوبة تعرف الآلة على الكلام في التحوار)، فإننا مضطرون إلى اعتماد الترجمة الإلكترونية باقتناع كبير في ميادين جديدة من مثل الترجمة الفورية المدبّجة للأفلام السينمائية والبرامج التلفزيونية، ومساعدة كُتّاب على كتابة نص أصلي بلغة غير لغتهم ولو بشكل مسوّدة، وترجمة البيانات من بنوك المعلومات، واسترجاع المعطيات من شبكة المعلومات مثلما حصل أخيراً في مجال مكافحة الجريمة المنظمة ومحاربة انتشار المخدرات في أوروبا عبر مشروع أفنتينوس Aventinus ومماثلاته ضمن إطار مؤسسات العدالة الجنائية ومنع الجريمة، بل وسائر المؤسسات الحكومية والدولية، والشركات الكبرى المُصنّعة بكثرة لنشرات فنية.

ولا ننسى أن أولى استعمالات الترجمة الآلية إنما كانت ضمن المؤسسات العسكرية والدوائر المخابراتية من مثل وكالة الاستخبارات الأميركية CIA وسلاح الطيران الأميركي Air

force، منذ مطلع السبعينات، وبخاصة لترجمة المستندات الروسية العلمية إلى الانجليزية، تلتها أمانة المفوضية الأوروبية لدول الاتحاد الأوروبي في لكسمبورج لتلبية الحاجة الماسة إلى الترجمة بين مختلف لغات دول أوروبا الموحدة، اعتباراً من عام 1976، مع بنوك مصطلحات آلية وبواسطة أنظمة مختلفة.

ومن أهم الأنظمة المذكورة الأنظمة التالية:

أنظمة الترجمة الإلكترونية المشهورة

1 - نظام سيستران Systran: وهو أحد رواد الترجمة الإلكترونية المسوقة، والذي تستعمله الجماعة الاقتصادية الأوروبية، والوكالة الأوروبية للطاقة النووية، وشركة جنرال موتورز، وشركة زيروكس Xerox.

2 - نظام وايدنر Weidner: وهو يترجم من الانجليزية إلى العربية وتمتلكه اليوم شركة أومنيترانس الأميركية Omnitrans.

3 - نظام توم - ميتيو Taum - meteo: وهو النظام الحكومي الكندي المتخصص في ترجمة تقارير الأحوال الجوية، والمشهود له بالدقة، كما سبقت الإشارة.

4 - نظام لوغوس Logos: الذي ابتكر لترجمة كرايس صيانة الآلات العسكرية من الانجليزية إلى الفيتنامية خلال حرب فيتنام، وانتقل بعدئذ إلى الترجمة إلى الألمانية والفرنسية.

5 - نظام سبانام Spanam: المتخصص في ترجمة تقارير منظمة الصحة العالمية ومنظمة الصحة الأميركية من الإسبانية إلى الانجليزية.

6 - نظام انغسبان Engspan: يشبه النظام السابق ويترجم الأبحاث وأعمال المؤتمرات وبرامج التدريب.

7 - نظام كالت Cult: وهو أحد أقدم وأشهر الأنظمة الإلكترونية للترجمة، وتستعمله الصين لترجمة موضوعات فيزيائية وكيميائية ورياضية من الصينية إلى الانجليزية وبالعكس.

8 - نظام ميتال Metal: تملكه شركة سيمنز Siemens الألمانية وتستخدمه لترجمة متعددة اللغات لكُتُبها وكتالوجاتها. ويسمى اليوم نظام ليتراس Litras.

9 - نظام ألبس Alps: يستخدم أسلوب الترجمة التفاعلية أو التحوارية interactive translation حيث تتعاون الآلة مع المترجم الخبير مباشرة على الترجمة قبل إصدار النص.

10 - نظام سمارت Smart: يستعمل الترجمة التفاعلية أيضاً، وتستخدمه كندا في موضوعات التوظيف والعمالة والهجرة.

11 - أنظمة جامعية: منها برمجيات جامعة كارنيجي ميلون Camegie - Mellon، وهي جامعة أميركية تتعاون مع شركة IBM، ونظام سوسي Susy التابع لجامعة سارلانديس

Saarlandes الألمانية، ونظام أريان Ariane الفرنسي الذي أنتجته جامعة غرينوبل والذي يقوم بترجمة متعددة اللغات (وكان يعرف سابقاً باسم جيتا Geta)، ونظام الأستاذ أنيس أبي فرح

في كلية العلوم بالجامعة اللبنانية للترجمة الآلية من العربية إلى الفرنسية، ونظام مركز القاهرة العلمي المسمى Translation Manager.

12 - أنظمة يابانية: وهي متعددة، وشائعة الاستعمال، ويُؤهلها كلٌّ من القطاع العام والقطاع الخاص بالتعاون التام بينهما، وتخضع لتطوير مستمر إلى أن بلغ أحدها مستوى

الدخول المباشر على الإنترنت On line للترجمة من الإنجليزية إلى اليابانية وبالعكس. ومعلوم أن اليابان تعتبر الدولة الأكثر نشاطاً في مضمار الترجمة العلمية والتقنية، وقد بنت جزءاً من

نهضتها المعاصرة عليها، وهي تُدرّس جميع العلوم باللغة اليابانية. وتضطر اليابان اليوم إلى ترجمة معاكسة من اليابانية إلى اللغات الحية الأخرى للمساعدة على تسويق منتجاتها الصناعية

والتجارية. ومن أشهر الأنظمة اليابانية نظام Mu japanese الذي أنتجته جامعة كيوتو بالتعاون مع مركز المعلومات الياباني للعلوم والتكنولوجيا، ونظام أرغو Argo، ونظام NHK

المخصص لترجمة نشرات الأخبار من الانجليزية إلى اليابانية.

13 - أنظمة سوفياتية (روسية): منها نظام أمبار Ampar للترجمة من الانجليزية إلى الروسية، وشقيقه نظام نيربا Nerpa الذي يترجم من الألمانية إلى الروسية، وفراپ Frap الذي يترجم من الفرنسية إلى الروسية، وكلها استعملها الاتحاد السوفياتي السابق وتستعملها روسيا اليوم. وتُظهرُ تجربةُ الهيئات المُشرفة على أنظمة الترجمة الإلكترونية المذكورة، وكذلك تجربة شركات برمجيات الحواسيب، أنها اضطرت جميعاً إلى الانتقال من استعمال الحواسيب الكبيرة mainframes إلى الحواسيب الشخصية Personal computers (مع الاعتماد بخاصة على نظام ويندوز) وإنتاج PC - translators وبالتالي تصغير برمجياتها مواكبة للتطور التكنولوجي.

المنظمة العربية للترجمة :

التي جاءت ثمرة لجهود عربي راقٍ، وتلبية لحاجة عربية متزايدة في إيصال العلوم والمعارف إلى الفكر العربي، وهي علوم ومعارف أساسية وعصرية غالباً أو دائماً ما تصدر في لغات أجنبية وفي الخارج، وتحتاج بالتالي إلى ترجمة إلى العربية، وبسرعة، في خضم تلاطم أمواج المعلومات وتفجرها، بل الطوفان المعرفي، وثورة المعلوماتية، وأوتوستراد المعلومات، وطفرة الاتصالات، وشيوع التقانات الترجمة الإلكترونية الميسرة، كي لا تبقى الأمة العربية على هامش العلم وخارج حلبة المعرفة. كل ذلك في عالم بات منقسماً إلى من يعرف ومن لا يعرف بعد أن كان منقسماً فقط إلى شمال وجنوب (غني وفقير). فالمعرفة قوة والقوة سلاح والسلاح سلطة وأداة هيمنة، ومن يملك المعرفة يملك سطوة التحكم في عقول الآخرين. ومؤسف أن الطابع الغالب على أمتنا اليوم هو أن من يريد أن يتعلم ليس لديه مال، في حين أن من لديه مالاً لا يريد أن يتعلم. وهذا في زمن باتت فيه المعرفة تُجرُّ المعرفة كالمال يُجرُّ المال (فتزداد الهوة المعرفية مثلاً تتعاظم تفاوتات الغنى)، وتتحكم بضع شركات عظمى بسوق الاتصال كما تسيطر دول معدودة على معظم براءات الاختراع في العالم. أفلا تستطيع تلك القوى المالكة لأدوات المعرفة فرض خياراتها وقيمتها على الآخرين وغسل الأدمغة والأفكار بحيث تمارس احتلالاً أبيض وتدجيناً غير دموي؟

تأسست المنظمة العربية للترجمة منذ عامين ونيف (بيروت 1998)، مؤمنة بالعلاقة اللامنفصمة بين النهضة والترجمة، وبين اللغة والهوية، وبين التقنيات الإلكترونية والسرعة المرجوة، وبين الطابع القومي العام والعمل المؤسساتي المنظم. وهي منظمة مستقلة غير حكومية لا تسعى إلى تحقيق الربح بل تُنَسِّقُ الجهود العربية وتحفز وتنشط وتنتج، وتردم الهوة المعرفية، وتساعد على إزالة الأمية العلمية والتكنولوجية، وتتجاوب مع الإلحاحية في ضرورة أن نعرف، وتحدث قفزة مميزة في نشاط الترجمة إلى العربية ضمن استراتيجية عربية شاملة ومتكاملة.

يقول الأستاذ منير البعلبكي رحمه الله، في مقابلة أجراها معه الأستاذ جهاد فاضل ونشرتها مجلة العربي الغراء عام 1993: إننا في حاجة إلى أن نترجم كل شيء، لأنه ليس لدينا شيء. ونحن في حاجة ماسة إلى ترجمة مختلف العلوم والفنون، ولن يستقيم لنا أمر الترجمة إلا إذا قامت مؤسسة عربية مركزية تضع مناهج للترجمة وكشفاً أو جرماً بالكتب التي ينبغي على الطالب والمتق أن يعرفها.

العربية والمصطلح العربي :

ولا شك أن تعميم استعمال وإشاعة إتقان المعارف بها وبواسطتها إنما يساعد على بعث نهضة علمية وفكرية متجددة، ناهيك عن ترسيخه للهوية العربية عبر تبني العربية كلغة للتفاعل التواصل والالاتصالي والانترنتي، وكلغة تدريس في مختلف المستويات التعليمية، وكلغة للبحث العلمي، ضمن مشروع حضاري ذي بعد علمي ورؤية قومية، إذ ما من أمة أبدعت إلا بلغتها، وما من أمة صنعت حضارة إلا وكانت لغة التعليم لغتها. أليست اللغة الأم هي التي ترقى برقي

الأمة، وتنهض معها وبها؟ فاللغة هي الفكر، وهي التاريخ، وهي الرابط وهي الذات، مع العلم أن اتقانها لا يعني الإحجام على تعلم سواها من اللغات الأجنبية الحية والتعامل معها. وما من ريب في أن إشاعة ترجمة المراجع الأساسية إلى العربية إنما سيساعد على تعميم التعليم بالعربية وسيصب في مصلحة اعتماد لغتنا لغة تدريس عام. وبذلك تصبح المادة العلمية في متناول الجميع بدلاً من انحصارها بيد أقلية متخصصة، ناهيك بأن هذه الأقلية التي غالباً ما تتقن اختصاصها بلغة أجنبية سوف تسهم عن وعي أو من دون وعي في رفع المستوى العلمي عن طريق متابعتها للعلوم بلغتها الأم، الأمر الذي سيضع حداً لذلك الانفصام في شخصية الأمة التي تتحدث بلغتها وتدرس بلغة سواها. لن نتطور ونتقدم إلا بالعلوم، ولن يسهل فهم العلوم أو تنتشر إلا بلغتنا الأم، وإلا غدونا خروفاً هزياً في هذا القطيع الإلكتروني e-herd (الذي يتحدث عنه الغرب) فاقداً للغته الخاصة ولهويته الوطنية وشخصيته القومية.

وتنظر المنظمة إلى الترجمة نظرتها إلى وسيلة تحاور توسع دائرة التلاقح الثقافي، والاكتساب المعرفي، والاستيعاب العلمي، وبالتالي بوصفها حوار حضارات، وتفاعل ثقافات، ونافذة اطلاع عبر اللغة، في عصر بات يمتاز بتحديات التداخل اللامتناهي بين الأمم والحضارات، ولذا فإن من مهام المنظمة أن تكون نقطة انطلاق مركزية وغرفة مقاصة وتنسيق clearinghouse تعالج الأزمات وتحل المشكلات، ولا سيما المتعلقة بتعريب المصطلح العلمي في محاولة لتوحيد المصطلحات العربية التي تعاني من التششت والتفكك وعدم الاستقرار. وأزمة المصطلح تستدعي منا إحياء للمصطلحات العربية وتقعيداً وتقييماً وتوحيداً وحوسبة انطلاقاً من قناعتنا بضرورة تعاطي العلم باللغة العربية تأليفاً وترجمة وتدریساً وتبسيطاً وتعميماً. فالمصطلح هو فعلياً ما اصطالحنا عليه، وما معيار انتشاره سوى الاستخدام المستقر المتواتر ولا شيء يمكنه أن يحقق ذلك أكثر من انتشار استخدام العربية في المضمار العلمي واللسان التقني. إن الحاجة تسبق الوسيلة، والوظيفة تسبق الآلة بل تولدها وتحدد ديمومتها أو تقرر زوالها، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى تثبيت المصطلح وتعميم العربية توصلاً إلى تراكم المعرفة، كيلا نلغي أنفسنا ونحن نبدأ كل مرة من الصفر.

وجلي أن الترجمة تتطلب توافر المصطلح المستقر والشائع لكي تنجح، كما أنها من ناحية مقابلة، إنما تساعد بدورها على انتشار المصطلح واستقراره، في علاقة نفعية تبادلية بينهما. ولا يسعنا سوى أن نشير إشارة خاطفة إلى التقصير الفادح الذي يشوب معاجمنا العربية التي تكاد تخلو من التعريفات الدقيقة، والدلالات الحاسمة، والايضاحات الجامعة المانعة، والمترادفات الوافية، والتعابير الاصطلاحية، والألفاظ المركبة، والكلمات الجديدة، والمعاني المستحدثة، والاستعمالات المتجددة، والمصطلحات العلمية، الأمر الذي يدفعنا إلى الدعوة مجدداً إلى نهضة معجمية تحديثية عربية ترقى بالصناعة المعجمية العربية إلى المستوى العالمي المقبول.

وقد ارتأت المنظمة العربية للترجمة أن تعتمد الترجمة الآلية أساساً مقبلاً وواسطة سريعة إلى جانب اعتماد سائر الأنظمة التقنية من بنوك مصطلحات آلية وقواعد بيانات ومعطيات، وذلك بصورة مدروسة وواعية، فتختار أفضل المتوافر وتحاول تحسين الراهن. ولئن كانت جميع الشركات العملاقة المنتجة تطرح ما هو جاهز لديها من برمجيات في الأسواق قبل أن تصل إلى درجة المثالية، وتجهد لتطويرها وهي قيد التداول، فلا يفترض بالمنظمة أن تنتظر اكتمال الحلول، بل يجدر بها الاستفادة من الإمكانيات المتاحة في الوقت الحاضر والعمل على تكييفها حسب احتياجاتها وإدخال التحسينات المناسبة عليها.

رؤية مستقبلية للترجمة الإلكترونية :

وأخيراً، إن المستقبل هو للترجمة الإلكترونية دون ريب، ولكن دون الاستغناء عن البشر. معها سيزداد انسياب المعلومات وتدفق المعارف عبر الحدود، حتى وكأنها الجسر الموعود، بل معها

سي تعمق ذلك النوع الجديد من الحدود غير الجغرافية الفاصلة بين الأمم، عنيت به الحدود بين المعرفة وعدم المعرفة.

ولكن ستتعاظم الحاجة إلى الغربة والتنخيل والتمحيص، واختيار الغث من السمين، والصحيح من الخاطئ، والسليم من المشوّه، والأصيل من المدسوس، والموضوعي من الموضوع، فالترجمة الإلكترونية أولاً وأخيراً وسيلة لا غاية. ونحن حتماً لسنا نريدها بوابة إضافية إلى الثقافة الإلغائية، ثقافة الاستتباع والهيمنة وفرض القيم الغربية والتنميط الأحادي الأجنبي وقمع حق الخيار وحق التنوع... بل نريدها، كسائر أدوات المعرفة والاتصال، مُعطى ثقافياً وتربوياً وحضارياً، نتعامل معه بتفاعل وتكامل، ونطوِّعه لمصلحة نهضتنا، بدل الاكتفاء بالتنديد بسلبياته إن وجدت واستنكار ثقافة العولمة ورجم إبليسها اللعين.

ولعل غالبية المترجمين المحترفين ستجد نفسها منصرفة إلى تخصيص معظم وقتها وجهدها للتحرير والتنقيح وتحسين أسلوب الترجمة الإلكترونية التي ستوفّر على المترجمين وقتاً وجهداً كبيرين بصورة فعّالة. وبعبارة أخرى، فإنه مثلما لن تغني الترجمة الإلكترونية عن البشر، فإنهم بدورهم لن يستغنوا عنها. نكتفّ التكنولوجيا معنا، ونكتفّ معها!

وسوف يتحدد مدى تطور الترجمة الإلكترونية بمقدار تغلبها على عدد من الصعوبات وتقديم حلول لبعض المشكلات، وفي طليعتها: التعامل مع الاستعمالات المجازية، الاشتراك اللفظي أي الكلمات المتعددة المعاني، التمييز بين ظلال المعنى، التعدّد الدلالي، التعابير الاصطلاحية، الكلمات المركبة، التمييز و/ أو الربط السليم بين المذكر والمؤنث، والفعل والفاعل، والصفة والموصوف، والعدد والمعدود، والمعلوم والمجهول، وصيغة الفعل، والضمير، والبدل، والأسماء البعيدة الموقع في الجملة، الترابط الجملي، الالتباس الضبابي، الأبعاد الثقافية المحلية، صعوبة نقل الجو العام للنص أو أفق الفكرة، صعوبة تصوير الحس الشمولي وضبط السياق التسلسلي بما يتطابق مع مضمون النص الأصلي، توفير نفس التأثيرات والإيحاءات المتضمنة في النص الأصلي، تقارب نمط الصياغة، تحليل البنية المنطقية للجمل لحل مشكلة إدراك الوظائف المنطقية للتركييب وليس مجرد الاكتفاء بالإعراب النحوي السطحي.

ولا شك أن هذه التحديات ستبقى إلى أمد منظور تواجه الترجمة الآلية، مع العلم أن العمل جارٍ على قدم وساق لتجاوزها باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي artificial intelligence وأنظمة الخبرة المكثفة condensed expert systems ونظام اللغة الآلية المقبولة machine accepted language وسواها. وحتى حينه، لن يكون في الإمكان الاعتماد مائة بالمائة على الترجمة الآلية الخام غير المنقحة أي الخالية من أي مراجعة بشرية.

واسوة بسائر النشاطات الإنسانية، فإنه لا مناص من اعتبار الترجمة الإلكترونية عملية ديناميكية مستمرة ودائمة التجدد، وبالتالي محكومة بمواصلة المسار على خط البحث الدؤوب، والتقويم الموضوعي، والتطوير العملي، لتستحق أن تكون ليس مجرد فكرة واعدة، بل وسيلة مُعتمدة بجدارة. وبذلك تكون الترجمة الإلكترونية قد تُرجمت عن حق قول جبران خليل جبران إن الحياة لا تُقيّم في منازل الأمس، ونكون قد بتنا مؤهلين لأن تُسابق ذاتنا في سبيل رفعة نهضتنا، حتى ليكاد ظننا أن يمسي ظلاً لظله، نُموّاً وحضارة وثقة بشخصيتنا وثقافتنا وقيمنا ورسالتنا. ولعلنا نتمكن، عما قريب، من أن لا نكتفي بنقل العلوم والمعارف إلى لغتنا، بل نعود لنتنكبّ دور الإسهام في تأمين وسائل نشر لغتنا في العالم عبر اسهاماتنا الفكرية وإبداعاتنا الحضارية وعطاءاتنا الثقافية.

الخاتمة :

لقد قمت في هذا البحث بعرض العمليات الذهنية التي يقوم بها المترجم عند الترجمة إذ أن هناك العديد من العمليات الذهنية التي يقوم بها المترجم أثناء ترجمته للنصوص كفهم النص وتحليله وتأويله وتفسيره..... وإعادة التعبير عنه ، وكيفية توظيف هذه العمليات عند ترجمة النصوص التقنية أو العلمية حيث يجب على المترجم عند ترجمة نص تقني أو علمي أن يكون لديه خلفية لا بأس بها كالإلمام بالمصطلحات التقنية وحركة التطور العلمي والقدرة على الاستنتاج المنطقي والمهارات والعمليات الذهنية العامة المستخدمة في ترجمة النصوص بشكل عام.

وقد أصبحت ترجمة العلوم ذات منهجية علمية لانتظام موضوعها وقابلية فصل الشكل عن المضمون ، أعدت شروط تحقيق الترجمة ذات المنهج العلمي حتى خارج المجال العلمي مما جعل الترجمة بهذا المعنى مصدر من مصادر ادخال الانتظام في المجالات غير العلمية مضمونا واللغة غير علمية شكلا . وهذا الانتظام محكوما بالحاجات الاجتماعية والاقتصادية الكونية : فبعد العلم من حيث شكله تلاه مجال الأنشطة الصناعية والتجارية والعلاقات السياسية ظرفا والآداب بوصفها توابع للأبعاد الثلاثية السابقة توظيفها .

المصادر والمراجع:

- روجرت بيل : الترجمة وعملياتها النظرية والتطبيق.
- المرزوقي ابو يعرب : الترجمة ونظرياتها .
- يوثيل عزيز: الترجمة العلمية والصحفية والتقنية.
- أمبارو أورتادو ألبير : تعليم الترجمة .
- عبد الله الحميدان، مجلة التواصل اللساني .
- موقع جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات (WWW.atida.org).
- موقع مجلة الحرس الوطني (WWW.haras.naseej.com)
- عاطف فالح يوسف , مجلة جامعة الملك سعود .

معجم مصطلحات نظم وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات اعداد
مفتاح محمد دياب.

قاموس مصطلحات الحاسبة الألكترونية لفراس حسون علي.

(STANDARD DICTIONARY OF COMPUTERS AND)
(INFORMATION PROCESSING) لـ مارتن ويك .

الملاحق